ظل
أنثى الوزير

ظل أنثى الوزير

رواية

أسامة عبيد

منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
1434 هـ - 2013 م

ردمك 978-614-01-0658-1

جميع الحقوق محفوظة

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING
editions.difaf@gmail.com
بيروت – لبنان

منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef
149 شارع حسيبة بن بوعلي
الجزائر العاصمة – الجزائر
هاتف/ فاكس: 676179 21 213+
e-mail: editions.elikhtilef@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين

إهـــداء ..

إلى البريئة... من تفتخر بي،
مع قبلة...

المحتويات

الإهداء 5

رسالة حب صغيرة 9

وحي الحب 23

الحب الميت 35

كوب قهوة في حضرة الملاك 56

أنتظرك 37

لست سوى بشر... في ثوب وزير!! 77

الإشارات القدرية المقدسة 38

العودة إلى أحضان الملاك!! 78

نهاية 19

رسالة حب صغيرة

حبيبتي، لديّ شيءٌ كثير.. أقوله، لديّ شيءٌ كثير
من أين؟ يا غاليتي أبتدي وكل ما فيك.. أميرٌ.. أمير
يا أنت يا جاعلةً أحرفي مما بها شرانقاً للحرير
هذي أغاني وهذا أنا يضمنا هذا الكتاب الصغير
غداً.. إذا قلبت أوراقه واشتاق مصباحٌ وغنى سرير..
واخضوضرت من شوقها، أحرفٌ وأوشكت فواصلٌ أن تطير
فلا تقولي: يا لهذا الفتى أخبر عني المنحنى والغدير
واللوز.. والتوليب حتى أنا تسير بي الدنيا إذا ما أسير
وقال ما قال فلا نجمةٌ إلا عليها من عبيري عبير
غداً.. يراني الناس في شعره فماً نبيذياً، وشعراً قصير
دعي حكايا الناس.. لن تصبحي كبيرةً.. إلا بحبي الكبير
ماذا تصير الأرض لو لم نكن لو لم تكن عيناك... ماذا تصير؟

نزار قباني

1

لم يصدق نفسه في ذلك اليوم التاريخي... يوم 15 مارس 2006م، اليوم الذي اختير فيه وزيراً للصحة في بلاده، كان يوماً تاريخياً ورائعاً بالنسبة له، لم يصدق رغم اتصال الديوان الملكي به إلا بعد سماعه نشرة أخبار التاسعة والنصف مساء.

أهلا بكم في نشرة أخبار التاسعة والنصف...

يقدمها لكم حامد الغامدي

أمر ملكي كريم بتعيين الدكتور حمود زراع وزيراً للصحة.

عندها فقط تأكد أنه أصبح وزيراً للصحة، تلقى التهاني من أحبائه وأصدقائه وحتى أعدائه أرسلوا له برقيات التهاني والتبريكات وهاتفه الجوال لم يكف عن الرنين، لأنه أصبح وزيراً، هل يعني ذلك أنه أصبح فوق الجميع، والجميع تحت مظلته يعملون، وإلى مرضاته يسعون ويبتغون، لو كان الوزير يعبد فالملوك ماذا يصنع بهم؟؟

من منا لا يريد أن يصبح وزيراً في بلده، وقد تكون نقطة نهاية لطموح الكثيرين، لأن هذا المنصب هو الممكن، أما أبعد منه فلن يستطيع أي شخص أن يصل، أما في الغرب فهو بداية الطموح لكثيرين لرئاسة حكومات وأحزاب ودول.

أدى القسم أمام الملك، أقسم بالله العظيم على أن يعمل بكل طاقاته وأن لا يخون وطنه وأمته وأن يسعى للارتقاء بوزارته إلى الأفضل، ذهب إلى الملك وقبّل يده الكريمة وكتفه، وتلقى التهنئة بمناسبة الثقة الملكية التي حظي بها وكلمات داعمة من الملك وتمنياته بالتوفيق.

أحياناً يصبح وزيراً من لا يستحق الوزارة، أو من يستحق الحد الأدنى من الثقة لكن أمامه الآلاف ممن يستحق وبجدارة أن يقود وزارة كوزارة الصحة... الوزارة الأهم في نظري بعد وزارة التربية والتعليم في أي دولة في هذا العالم.

جميل أن تكون نوايانا طيبة لكن هذا لا يكفي ولن يكفي... أما الأفعال فهي قليلة في الاتجاه الذي يريده الجميع في التطور والتقدم والوصول للمكان الذي يطمح له الصغير قبل الكبير.

أول قرار اتخذه بعد أن أصبح وزيراً هو تغيير أثاث مكتبه بالكامل... من إلى، أرسل على طلبيات من مختلف أنحاء العالم للحصول على المكتب الذي يليق بحمود الوزير، من السويد وأمريكا وقليل من الصين، حتى الصينيين لا يستهان بأثاثهم الأنيق البسيط، المكتب الفاخر يعطيه نوعاً من الأبهة التي يحتاجها، والمكتب السابق قد أصبح قديماً بعد جلوس الوزير السابق عليه ولا يجوز أن يكون مكتبه قديماً.

يومه الأول كوزير لم يكن عادياً أبداً، الآلاف من البشر قدموا لتهنئته، ليس فقط للتهنئة بل معهم بعض الأوراق والمستندات والآمال المعلقة على سعادته، يريدون منه التوسط لهم والتكرم عليهم بواسطته وفيتامينه، لأنهم لن يعيشوا دون واسطته وكرمه الذي وسع كل شيء في الأرض، كان من الأجدر لهم أن يعملوا أو يسألوا خالقهم بدل سؤال الناس والوزراء والملوك.

أعطى هذه الأوراق والمستندات لمدير مكتبه، وأمره بأن يحرقها ويرميها في أقرب سلة نفايات من الحجم الكبير جداً، لأنه لا يريد تخريب سمعته من أول أيامه، يجب أن يثبت أقدامه في الوزارة أولاً ثم يفعل ما يحلو له.

مدير مكتبه قادم من جدة... المدينة التي قدم منها حمود أيضاً،

المدينة التي يعشقها، تمنّى أن ينقل وزارته إلى جدة، لكن العاصمة هي الرياض، ويجب أن تكون الوزارة موجودة فيها، مدير مكتبه هو صديقه مروان، يحمل ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة كامبردج البريطانية، لم تكن صداقته له فقط هي سبب تعيينه له بل كفاءته وقدراته أيضاً.

أما سيرة الوزير فهي سيرة جيدة جداً لا بأس بها... ولد في جدة سنة 1958م... أعزب، حصل على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة الملك عبد العزيز بجدة، حصل على دكتوراه في طب الأطفال وتحديداً في قلب الأطفال من جامعة (ألبرتا) بكندا، عيِّن قبل أربع سنوات مديراً لمستشفى الملك فيصل التخصصي بجدة، وبعدها أصبح وزيراً للصحة في بلاده.

أعزب لأنه لم يجد حتى الآن الفتاة التي تستحقه ويستحقها... الفتاة التي يحبها، الفتاة التي تفهم أسلوب حياته وتفكيره وتحاول أقلمة نفسها معه... على الأقل تحاول.

سيارته كانت من نوع تويوتا أفالون، أما اليوم فسيارته من نوع مرسيدس بنز الفئة الأغلى بسائق خاص أسمر البشرة، سيارته ضد الرصاص طبعاً حفاظاً على حياته الغالية على قلوبهم.

الدكتور حمود... وسيم جداً، لا توجد في وجهه أي شعرة، يمرر موسه يومياً على ذقته ووجهه ليلمع ويبرق بشدة، أبيض البشرة، عيونه عسلية اللون تغطيها نظارة طبية بحدود سوداء، يحب اللون الأسود كثيراً، رغم أنه كلون حزن يذكره بوفاة والديه بحادث سيارة أثناء رجوعهما من أداء العمرة قبل عشر سنوات تحديداً، بقي وحيداً... ليس له أخوة، هو وحيد والديه المدلل، كانا يريدان رؤيته وهو عريس، لكنه اليوم وبكل فخر أحلى وزير.

سيعيش وحيداً في قصره مع خادمة وسائق، حياة الوحدة جميلة

جداً وممتعة، فيها حرية لأبعد حدودها، مثلاً بإمكانك أن تتجول عارياً كما ولدتك أمك في قصرك دون أن يقول لك أحدهم: هل أنت مجنون؟؟ يمكنه أيضاً أن يرقص ويغني على وقع الموسيقى التي يحبها دون أن يقول له أحدهم: هذا حرام... اتق الله، لكن بعد سنوات قليلة... قليلة جداً من الذي ستعيش معك نهايات حياتك؟ نهايات قصتك في هذا العالم، من سيواسيك عندما تمرض وتصبح الوزير السابق يعاني من وعكة صحية ألزمته الفراش الأبيض، لن يزورك أحد لأنك الوزير السابق وأنت لا تعني لهم أي شيء.

يرتدي مشلحاً (بشتاً) سكري اللون، يزعجه قليلاً... لكنه يعطيه شيئاً من الوقار والاحترام الذي يحتاجه طبعاً كوزير جديد، بجانب الثوب والغترة والعقال ليكون زياً سعودياً كاملاً، مقيد للحركة قليلاً... لو لم يغطِّ رأسه لظهر شعره الأبيض وصلعته التي بدأت تأخذ شكلاً مميزاً.

حضر أول جلسة له في مجلس الوزراء، كان الجو غريباً عليه، أجواء الهيبة والكلاسيكية التي تجعل الشخص يمل منها، أجواء الوزراء الغريبة والمريبة، أجواء ليست لطيفة جداً... الله يعدي أيام الاثنين على خير.

نعم الوزراء يعيشون حياة مترفة، لكن سنوات الوزارة تسرق من أعمارهم وأوقاتهم، دوام وسفرات خارجية وداخلية للاطمئنان بأن كل الأمور تسير حسب المخطط لها، لكن التخطيط هو الأهم، وضع آلية عمل واضحة تسير عليها الوزارة هو أهم ما يمكن للوزير أن يقوم به، أيضاً الصلاحيات الكاملة له، وبعد ذلك محاسبته إن أخطأ، لو قمنا بذلك لأصبحنا أكثر تقدماً من الآن، لكن الأخطاء واردة جداً.

فرّاشه يدعى العم حسن... يعيش في بطحاء الرياض، هو أكثر

من يقابله في دوامه بمكتبه، قهوته الساعة التاسعة صباحاً وشايه بسكّره الزائد عند الواحدة ظهراً، بعد أدائهم لصلاة الظهر جماعة في مكتبه وهو دوماً الإمام ليس لكونه وزيراً بل لأنه يحفظ القرآن كاملاً ولله الحمد والمنّة، تعلمه في تحفيظ حيهم بجدة... حي الأندلس الذي عاش فيه وترعرع، هذا بخلاف الأوراق التي ينقلها العم حسن بين الموظفين في الوزارة، وقد عرض عليه حمود العمل في منزله مساء لكنه رفض، لأن لديه أسرته التي يحتاج قضاء وقت معها، رغم فقره لكن حمود وجد فيه الصديق والمأمن والكاتم على أسراره وحكاياته الخاصة.

معظم وقته يقضيه في عمله كوزير، مهمة عظيمة تحتاج إلى جهد منه وتفرغ كامل لها، لكنه يعيش وحيداً منذ رحيل والديه، يعيش دون أنثى والذي يعيش من دون أنثى لن يستمتع بحياته كما ينبغي لها أن تعاش، أن يحب أنثى هو أمر معقد بالنسبة له... أمر معقد جداً، يجب أن يغوص في أعماق فكرها قبل جسدها الذي لا يعني له أي شيء.

سأله فرّاشه العم حسن:

- هل أبحث لك عن عروسة؟؟

- أصبحت خطّاباً للوزير كذلك يا عم حسن، لا... فقط أعطني مزيداً من القهوة التي أحبها.

2

مـا أجمـل بطحـاء الرياض، حيث البسـاطة والحيـاة كما يجب أن تعـاش، مـع امـرأة عجـوز مثلـه، وابنـه علي الـذي تجاوز العشـرين من عمـره ولـم يجـد وظيفة ولم يدخل الجامعة لأنه فاشـل دراسـياً، أقولها بـكل صراحـة... فاشـل كوالـده الفراش، رغـم أنه فـراش الوزير، وزير الصحـة، وهـو لا يجـد مـا يكفي أهله علـى الأقل، حيث بيتـه الصغير، غرفتان أصبحت بيته في حارة ضيقة، في مدينة جميلة كالرياض.

راتبـه 1500 ريـال شـهرياً، مبلغ جيد لكنـه لا يكفيه حتى منتصف الشهر، نصفه للإيجار، والباقي يذهب في المصاريف والمأكل والمشرب، وابنـه يحتـاج لمصـروف شـهري، وجد عملاً قبل فترة في سـوبرماركت كمحاسب، لكن صاحب العمل قرر الاستغناء عنه بسبب الأزمة المالية العالمية والأجنبي أرخص بكثير كما يقول، حتى ولده علي لم يسلم من الأزمة، كان يمكن أن يساعده بالصرف على نفسه على الأقل.

فرّاش الوزير... الكلمة الأولى لشخص قد يكون من أحقر البشر في نظر البعض، والثانية لرجل من أفضل البشـر في نظرهم أيضاً، لكن ليس في كل شيء، فمثلاً فرّاش الوزير استمتع بممارسة الجنس مرات ومـرات مـع زوجتـه أم علي، أمـا الوزير فلم يمارس الجنس مع أنثى... أؤكـد لكـم هـذه المعلومـة، لأن الدكتـور حمود لا يقبل أبداً أن يسـوق امرأة إلى فراشه دون حب.

هل هذا معيب للرجل؟؟

إنه أعزب... دون امرأة، هل من تشكيك في قدراته الجنسية؟ هل من تشـكيك في أهليته، وفي ميوله الجنسـية، نعم أفتخر أني أعزب إن

لم أجد الفتاة التي أحبها فأنا أعزب حتى الوفاة.

تأقلم وتجانس مع حياة العزوبية، وقرر أن يتزوجها إلى أن تأتي المرأة التي تنتشله منها، كان يطبخ قبل تسلمه الوزارة، يجيد طبخ الكبسة والبيض بكل أنواعه والمعكرونة وطبخة إيطالية تدعى (الفوتوتشيني)، أما بعد أن أصبح وزيراً... بريستيجه لم يسمح له بالطبخ، فلديه طباخة تصنع له كل ما يشتهيه، لكنه لا زال يحضّر قهوته التركية المفضلة لديه، وهو من النوع الانطوائي الذي لا يحب كثرة الصداقات والعلاقات والكلام الكثير... ليس اجتماعياً، لأن البشر قد يكونوا اجتماعيين ومنعزلين وأحياناً تختلط كلتا الحالتين لتكون مزيجاً آخر إنساني.

لو تزوج وهو في أوائل العشرين من عمره، لكان لديه أولاد في أوائل العشرين، ومن الممكن أن يكون له أحفاد، لكنه لم يرد ذلك، رغم أنه يحب الأطفال كفطرة بشرية ربانية، لكن مشاغل الحياة قد سرقته وطموحاته التي ليس لها حدود جعلته لا يفكر كثيراً في المرأة كأنثى... في المرأة كحب دائم في حياته التي تستحق أنثى لتكتمل، لأن الحياة من غير أنثى حياة ناقصة من نعومتها وحنانها.

عندما كان يدرس طب الأطفال في كندا، كانت زميلته في نفس التخصص واسمها... (نيكاي)، تحاول أن تلمح له بمشاعرها تجاهه، وكانت جميلة جداً وشقراء، لكنه لم يشعر بأي نوع من المشاعر تجاهها... بأي نوع من الحب، رغم أنها كانت ترغب بممارسة الجنس معه وهي راضية بذلك، لكن كانت مبادئه وقيمه تحتّم عليه أن... لا جنس دون حب.

وصوله إلى الوزارة دليل على نجاحه، نجاح مسيرته، نجح بدعم من والديه، برعايتهما وحبهما، رغم أنه افتقد الحب من الزوجة، لكن ذلك لم يعرقل مسيرته الناجحة تماماً، بداياته في جامعة الملك عبد

العزيـز فـي الطـب والجراحة مع دفعة لم يتجـاوز عددها الثلاثين طالباً، لـم يكـن الأفضـل بينهم، لكنه كان مثالاً واضحـاً للالتزام والدقة والجد والمثابرة.

سبع سنين حصل بعدها على بكالوريوس الطب والجراحة، بعدها ابتعـث إلـى كنـدا، وهناك تفوقه كان واضحاً رغم الغربة، لكن الغربة قد تصنـع الرجـال الحقيقييـن وتصقلهـم، حصـل على الدكتوراه بعد عشـر سـنين قضاهـا فـي كنـدا في مدينة أدمنتون، بعد عودتـه إلى وطنه، عمل في مستشفى الملك فيصل التخصصي بجدة في تخصص طب الأطفال، عُيِّن بعدها رئيساً لقسم الأطفال، وبعدها مديراً للمستشفى، أمتع وأحلى أوقاته قضاها عندما كان يشـرف على علاج الأطفال مباشـرة، كان هذا كل ما يريده منذ دخوله كلية الطب والجراحة، تخفيف آلام الأطفال... هـل لأنـه محـروم من الأطفـال؟ لأنه لم يتزوج حتـى الآن، رغم بلوغه الثامنة والأربعين من عمره، لكنه يعتبر في عرف الوزراء وزيراً شاباً، لأن أغلب الوزراء في تلك الفترة كانوا في العقد السادس من عمرهم تقريباً.

عنونـت إحـدى الصحف المحليـة بعد توليه وزارة الصحة، الوزير الشاب خطوة في طريق الإصلاح في السعودية، (الوزير الأعزب) كانت جذابة أكثر للقارئ السعودي.

3

كابـوس راوده كثيـراً بعـد توليه الوزارة، لـم يدعه يهنأ بنومه، عكّر عليه مزاجه العام وزاد التوتر والضغط الواقع عليه، كوابيس الوزير تأتيه يومياً دون أدنى رحمة به وبحاله، عندما يقوم فزعاً من كابوسه لا يجد من يعطيه كأس ماء ليبلل به ريقه الناشـف، لا يجد من تحتضنه بحنان وحب لأن غرفته خالية من الحب.

الكابوس هو...

يجد نفسـه (حمود) دون ملابس يرتديها... وحيداً، في جو مظلم شديد الظلمة، لا يرى شيئاً سوى أنه غريق ويحتاج من ينقذه، لا يسمعه أحد، لا ينقذه أحد، يغرق ويغرق، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، يأتيه نمر من النمور الكبيرة المخيفة ويحاول التهامه...

يسـتيقظ مـن نومـه دومـاً قبل أن يلتهمه النمـر، يذهب إلى الحمام ويغسل وجهه ويتوضأ استعداداً لأداء صلاة الفجر.

الكابـوس هـو الحلـم المفـزع، لا حيـاة دون أحلام، أحـلام النوم واليقظة، هي من تسـلينا أحياناً، نسـتمتع بها في نومنا وحياتنا، نشـاهدها على طريقة الأفلام القصيرة التي تعطيك الفكرة... الفكرة فقط وتدعك تفتش عن بقية الأمور... وحدك.

4

راتبه الشهري يقارب السبعين ألف ريال سعودي فقط لا غير، في الشهر الماضي اشترى لوحة كبيرة أعجبته جداً رسمها الفنان السعودي الكبير (علي حسنين)، اشتراها بمبلغ قارب الخمسين ألف ريال، لوحة وجدها معبرة عن حياته الخالية من الأنثى، وجدها معبرة عن حبه الذي لم يجده حتى الآن.

هو من عشاق الساعات الغالية والثمينة، اشترى ساعة صناعة سويسرية من إنتاج شركة تاج هوير صممت لأجله فقط، اشتراها بمبلغ صادم، لكنه لا يبخل على نفسه بأي شيء يرغب فيه، ملايينه التي في البنك تشتكي من تركها دون صرف أو تدوير.

دوماً يقول لنفسه:

لمن أتجمل؟ لمن أتزين؟ لنفسي فقط، لا أحد يرقب حركاتي وسكناتي سوى رجال الإعلام، من يريدني جميلاً، المرأة وحدها هي من تريدني رائعاً أمامها، لن يقدرني أحد مهما كنت وسيماً، سوى أنثى تحبني أكثر من نفسها.

هو ليبرالي الهوى، ويفتخر بذلك دوماً، ويدرك ما يعنيه بذلك، يعني أنه حر ويريد أن تعمّ الحرية هذا العالم بأسره، التزامه بدينه لا يعني بالضرورة أنه من أصحاب العقول المتحجرة التي لا تقبل التغيير والتبديل، بل عقليته متفتحة تقبل كل جديد ومتغير.

في لقاء مطوّل أجرته معه إحدى الصحف المحلية ذائعة الصيت، عنونت هذا اللقاء بجملته التي قالها بكل فخر:

أنا ليبرالي الهوى!!

تلك الفترة قامت الدنيا عليه ولم تقعد... وزير سعودي ليبرالي وعلماني ومتأمرك، الصحف المحلية والمواقع لم تكف عن انتقاده والمطالبة بإقالته من منصبه بعد أقل من ستة أشهر على تعيينه، دستورنا الكتاب والسنّة فكيف يأتي هذا العلماني السفيه وزيراً علينا؟؟ بل وطالب بعضهم بتطبيق حد الردة عن الإسلام عليه.

علينا أن نقبل التغيير، التغيير مطلوب في أي بلد في هذا العالم، في البلدان المتقدمة والنامية، عليهم أن يغيروا أي شيء تكون فيه مصلحة هذا البلد وتقدمه وتطوره مهما كانت تبعات هذا التغيير ومضاعفاته.

تقبل الآخر مهم جداً، ويجب أن يفرض على الجميع، تقبل العلماني والليبرالي وأتباع جميع الأديان وحتى الطوائف، لا يوجد مجتمع في هذا العالم مكون من تيار واحد، تيارات مختلفة والجميع يشارك في الحكم ويكون مؤثراً فيه بما تقتضيه مصلحة مجتمعه ووطنه وليس طائفته أو مذهبه.

لم يرد على كل تلك الحملة، قرر أن يبتعد قليلاً عن الظهور إعلامياً، ليس خوفاً منهم بل إشفاقاً عليهم وعلى حالتهم التي وصلوا إليها منذ فترة طويلة، يريدون السيطرة على كل شيء... كل شيء، يجب ألاّ نعطيهم فرصة للسيطرة علينا، لأننا ولدنا أحراراً وسنبقى أحراراً إلى يوم الدين.

قدسوا الحرية لكي لا يحكمكم طغاة الأرض.

(جبران خليل جبران)

صحف ومحطات كثيرة طلبت لقاءه، لكنه اعتذر بكل لباقة، لا شيء جديد يضاف ولا قديم يعاد، حواره في الشرق الأوسط كان واضحاً تماماً ولا يحتاج إلى أي تفسيرات أخرى.

لا يخاف حتى من إقالته من منصبه في أسوأ الأحوال، هل سلطتهم قد تصل إلى هذا الحد المخيف؟ مخيف جداً ما وصلوا إليه، تعيين وإقالة وزراء، لا أعتقد ذلك تماماً، المنطلق الديني الذي يحاولون التلاعب به كورقة رابحة يخرجوها متى أرادوا، ورقة ضغط يلعبون بها فينا لم تعد بتلك القوة التي كانت عليها سابقاً، رغم أن تأثيرها لا زال موجوداً.

الليبرالية تعني الحرية المطلقة للجميع ولكل البشر، هم لا يريدون الحرية... يريدون (الخنقة)، يدعون أنه فكر آتٍ من الغرب إذا لا نؤمن به ولن نعتنقه أبداً، هم من بدأ بغزونا فكرياً قبل الغرب، أفكارهم يجب أن ينفض عنها الغبار لتكون صالحة للاستخدام البشري.

جاءت الثقة مفاجئة له وللجميع... تجديد الثقة في وزير الصحة السعودي حمود زراع، دعم كبير له ولعمله كوزير، سيعطيه مزيداً من الثقة التي يحتاجها في مواجهة ضغوطاتهم... ثقة ملكية يستحقها.

عندما تشعر أن أعلى سلطة وأعلى رأس في هذا البلد معك ويدعمك بقوة، تستطيع أن تعمل وأنت مرتاح البال... أن تعمل دون ضغوطات تؤثر على القرارات التي تتخذها.

وحي الحب

5

لديه في قصره ملحق صغير، قرّر أن يعطيه للعم حسن وأسرته للعيش فيه، عرض ذلك على العم حسن... رفض في البداية، لكن حمود ضغط عليه حتى وافق، لم تهن عليه نفسه التي أصبحت مكسورة، نفوس كثيرة غدت مكسورة ذليلة في هذه الحياة التي لا تعطي البشر كامل حقوقهم من الأنفة والكرامة.

علي ابن العم حسن أصبح السائق الخاص بالوزير، سيعطيه مرتباً جيداً... حوالي الثلاثة آلاف ريال شهرياً، وسيقود الشبح مرفوع الرأس، يفتح باب السيارة الخلفي للوزير... يلملم ما تبقى من مشلح الوزير (عباءته) داخل السيارة ويغلق باب السيارة ثم ينطلق مع الوزير إلى حيث يريد أن يذهب.

لم يفعل كل ذلك بغرض الشفقة عليهم، بل لأنه يريد عائلة تعيش قربه، عائلة لم يستطع خلقها حتى الآن، سيشعر على الأقل بوجود الأسرة، بوجود أهل قربه، شعور سيخفف من الضغوط والتوتر الذي يعيشه لأنه لم يجد حتى الآن من يشعر تجاهها بالحب.

انتقالهم من البطحاء إلى قصر الوزير في أرقى أحياء مدينة الرياض، يستنشقون أخيراً هواء نظيفاً، يعيشون الحياة التي يستحقوها، لأن لهم كرامتهم كبشر حقيقيين، يعيشون في وطن غني، يمتلك ثروات كبيرة... يجب أن يتذوقوها.

لكل منا نقاط ضعف يدركها تماماً، لكن يحاول السيطرة عليها، ليس بحلها والتغلب عليها بل أحياناً بزيادتها سوءاً وتأثيراً على حياته، فقط ليوهم نفسه على الأقل بأنه استطاع التغلب عليها.

في طفولته كان منعزلاً، لم يكن اجتماعياً، لا يكره البشر بل يحاول تشكيل شخصيته بعيداً عن أعين الآخرين، بعيداً عن أعين الفضوليين، في كندا كان محط الأنظار بسبب انضباطه والتزامه وانعزاله، أعجبوا بجديته، وكأنه تربّى في بيئة غربية، في أمريكا مثلاً أو بريطانيا، تربّى في جدة لكنه استطاع تشكيل شخصيته على هواه.

آه... لم أجد حتى الآن الأنثى، وهل الحياة تعاش دون حواء؟ هل نستحق العيش في هذه الدنيا دون أنثى تقدرنا؟ أنثى لا زلت أفقدها في حياتي، لم أبحث عنها كثيراً بل انتظرت أن يبعثها القدر إليّ خاضعة لحبي، أنتظر إشارات قدرية تخبرني بقدوم حبي... الوحي قد انقطع يا عزيزي.

لم تقل لي فتاة يوماً... أنا أحبك، جرأة نادرة أن تغازل فتاة رجلاً، لكنها حدثت لكثيرين، وأنا لست منهم، لم أفكر كثيراً في رد فعلي على فتاة جريئة تحبني، هل سأحبها، سأفكر قليلاً ثم أنسحب بحثاً عن قلب غيرها.

6

الوحي قد يأتي أحياناً لمن ينتظره ويترقبه...

رأى في منامه... امرأة جميلة جداً، قالت له:

- اسمي جمانة ضاهر، أنتظرك منذ فترة طويلة.

حاول الاقتراب منها لكنه يراها تبتعد عنه، قال لها:

- أين أستطيع رؤيتك كحب حقيقي.

- تستطيع البحث عني في بيروت وستجدني... أراك على خير.

انتهى منامه، كانت مشاعره خليطاً من الفرح وعدم تصديق ما رآه، أخرج ورقة وقلماً وكتب لكيلا ينسى حبه القادم...

جمانة ضاهر

بيروت.

توضأ وصلّى ركعتين شكراً لله على هدايته لحبه.

أخذ منامه بكل جدية، يثق في أحلامه كثيراً، يعتبرها وحياً يهديه في حياته، يعتبرها صلة بينه وبين ربه، بينه وبين خالقه، لأنه لا يطلبها بل هي من تأتيه في منامه، يصدقها أكثر من قرارات الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي.

لو أخبر أي أحد برؤياه وتصديقه لها، لاعتبره مجنوناً رسمياً، وزير الصحة يصدق الأحلام، تعلق بقشة أخيرة له في حياته، واثق منها وسيسعى لرؤيتها حقيقة معاشة.

جمانة هي حبيبتي، لا أعرف شيئاً عنها سوى اسمها... جمانة ضاهر، جمانة تعني اللؤلؤة، هي أصبحت كل حياتي وأملي الباقي في

شـريكة حياة أعيش معها ما تبقى من حياتي، سـأبحث عنها وسـأجدها وسنمارس معاً الحب بكل صوره وأشكاله إلى أن نموت.

حمود وجمانة اسمان متناسقان لأبعد الحدود، حيث لا حرف في أحدهما موجود في اسـم الآخر سـوى الميم وهذا هو انسـجام في حد ذاته، حمود من السعودية وجمانة لبنانية وهذا تناسق آخر حيث البلدين مـن أكثـر البلـدان تناسـقاً في المنطقـة، الأولى قد يصنفهـا البعض دينية لوجود مقدساتنا بها والثانية علمانية وهل من تناسق أكثر من هذا؟

* * *

كونه سائقاً لوزير الصحة السعودي، مكّنه من استغلال منصبه في جـذب الفتيـات إليـه وإلى حضنـه البارد، لا يكتفـي بالاحتضان بل ليلة كاملة حتى الفجر، ولا يكفي ذلك غروره كسائق لوزير الصحة.

علي ابن العم حسـن، يسـتغل منصبه في ممارسـة الجنس والإيقاع بكثيرات في شباكه الفاسقة الضالة...

طعمـه الدائـم فـي كل عملياته هو وسـاطته لدى وزير الصحة، أي عملية مجدولة بعد 10 سنين سيجعلها مجدولة بعد خمس سنين فقط، وهـل مـن عـرض مغـرٍ أكثـر من ذلـك، أو عـلاج مرضى فـي الخارج، سـيعطي الأوراق للوزيـر وهـو يفعـل ما يراه مناسـباً، في أغلب الأحيان يستجيب الوزير لتلك المطالب لحاجتها الماسة للعلاج السريع.

يصطاد فريسـته، يضرب موعداً معها في اسـتراحة تدعى (الملاذ) شرقي الرياض، هو من يأخذها معه إلى الاستراحة بسيارة الوزير، وهناك تبـدأ حكايـة الجنـس البعيدة عن الحب، الفريسـة دومـاً ما تكون مترددة لكن الصياد لم يتردد يوماً في نهش لحمها.

هناك بيئات معينة لا تسـتطيع أن تنجب إلا المنحرفين، تتفنن في تخريجهم وصقلهم لتدمير المجتمع، ليس الفقر وحده من يصقلهم، أمور

كثيرة تتدخل وتسهم في انحرافهم، ومنها الكبت الاجتماعي الذي يعيشه شبابنا، كل شيء أصبح محرّماً، من يتكلم باسم الدين يضيق عليهم في كل مكان يذهبون إليه، يشكك في نواياهم قبل أن يقترفوا أي ذنب وقبل كل ذلك يسلب منهم حريتهم التي كفلها الله لهم فأصبحوا دون حرية... بالنسبة لي الموت أفضل من حياة دون حرية.

العضو الذي لا تستخدمه يضمر...

هذه قاعدة كثيرين في هذه الدنيا، دافع نفسي أكثر منه جسدي يجعلهم ممارسين محترفين للجنس، حتى تحين هدايتهم بالزواج من فتاة يتأكدون من طهارتها رغم كونهم نجسين إلى الحد الذي جعلهم يملون.

هل هناك ملل وطفش من ممارسة الجنس؟؟...

أعتقد أن ذلك موجود في مجتمعنا تحديداً، قد نمارس حباً دون ممارسة الجنس فنشعر بكرامتنا أكثر من أن نمارس الجنس دون شعور بالحب، فنشعر برجولتنا دون أي سعادة داخلية فنمل من الجنس ومن كل نساء هذه الدنيا دون أي استثناء.

7

بعد ذلك الحلم الوردي الذي رآه في منامه، عاش أياماً جميلة جداً، عاش نشوة لم يعشها طوال أيام حياته، حياته الخالية من نكهة الأنثى، قد وجدت أنثى في منامها، غدت متمسكة بها أكثر من الوزارة وكل همومها الكريهة القذرة، أنثى رسمها في مخيلته جميلة... خلوقة... رقيقة... عذبة أكثر عذوبة من مياه الأنهار.

عليه أن يفاضل بين الوزارة وجمانة، بين برستيج وكبرياء الوزارة وحب فتاة لا يدركها على حقيقتها، عليه أن يفاضل بين الواقع والحلم، الزواج والاستقرار أم البقاء في حلقة مفرغة تماماً كوزير.

سنة كوزير للصحة كانت كفيلة بأن يعيش أجواء الوزير وشخصيته المضطربة التي لم يهضمها كثيراً، عمل خلال تلك الفترة على تطوير وزارته لكنه يجزم أنه يحتاج إلى عقود للتغيير لأن المشكلة عويصة جداً وتحتاج إلى وقت طويل لإيجاد حلول لها.

استخار ربه بطريقة الأحلام التي يفضلها دوماً، قراره كان تقديم استقالته إلى الملك... تكرر حلم حبه مرة أخرى، أكّد ذلك توجهه ورغبته التي عزم عليها، أن تقدم استقالتك خير من أن تقال أو تنحى عن عملك أو تجلس بالعقود في وزارة تسيطر عليها ممسكاً عليها بأسنانك وأظافرك لا تريد تركها لغيرك ليديرها، هذه عقليتنا التي تربينا عليها.

ما هو تبريره لاستقالته التي سيبعث بها لهم، وجدت حبي وسأترك الوزارة وكل هذه الدنيا لأجدها وأتزوجها وأقبل كل عضو فيها، التبرير الذي كتبه كان مخالفاً للحقيقة... ليس هناك من جديد يقدمه لوزارة الصحة ومن الأفضل أن يترك الفرصة لغيره ليدير الوزارة بشكل أفضل

ويطور في آلية العمل.

تم الرد على استقالته بالموافقة، لن تتوقف البلد والوزارة عليه، هناك الكثير ممن يستحق أن يكون وزيراً للصحة... من هو أفضل منه بكثير، وافقنا على استقالتك مع شكرنا وتقديرنا لكل ما قدمته خدمة لوطنك، ومرفق مع الموافقة شيك بمبلغ مليون ريال سعودي كمكافأة له على عمله خلال السنة التي تولى فيها الوزارة.

بعد تنحيه عن الوزارة، الكثير استغرب من تصرفه، لم يكن هناك سبب مقنع لذلك، خسرنا وزيراً كان يمشي بالوزارة في الطريق الصحيح، والبعض بارك للمجتمع بسبب إقالته من الوزارة، تناقضات وكل حياتنا مليئة بالتناقضات، تناقضات تجعلها حياة نعيشها لأجل مصالحنا فقط وليس لمصلحة مجتمعاتنا وشعوبنا.

فرغ مكتبه من أوراقه ومستنداته، احتاج لحقيبة سفر كبيرة وملأها بالأوراق التي سيقوم بحرقها بعد ذلك، ودّع العم حسن وأعطاه شيكاً بمائة ألف ريال ليبحث عن سكن مناسب له ولأسرته، ودّع موظفيه في الوزارة، كان معظمهم حزيناً جداً على رحيله، كانوا يريدون استمراره لكنه قرر الرحيل دون رجعة.

لم يعرف سر استقالته سوى شخص واحد فقط هو مدير مكتبه وصديقه مروان، لم يقتنع مروان بمبرراته لكنه لم يحاول ثنيه عن قراره لأنه يعرف عقليته وحاجته للحب الذي دائماً ما يتحدث عنه ويقدسه.

باع كل ما يملكه من أراضي ومبانٍ وسيارات، كانت حصيلتها مبلغ قارب العشرين مليون ريال، أودعها في حسابه، وقام بحجز تذكرة ذهاب دون عودة من الرياض إلى بيروت على متن طيران الشرق الأوسط في الدرجة الأولى بتاريخ 5 أبريل سنة 2007م.

يا ستَّ الدنيا يا بيروتْ..
يا حيثُ الوعدُ الأوّلُ.. والحبُّ الأوّلُ..
يا حيثُ كتبنا الشعرَ..
وخبّأناه بأكياسِ المُخملْ..
نعترفُ الآنَ.. بأنّا كُنّا يا بيروتُ،
نُحبّكِ كالبدوِ الرُحّلْ..
ونُمارسُ فعلَ الحبِّ.. تماماً
كالبدوِ الرُحَّلْ...
نعترفُ الآنَ.. بأنَّكِ كُنتِ خليلتنا
نأوي لفراشكِ طولَ اللّيل...
وعندَ الفجرِ، نهاجرُ كالبدوِ الرُحَّلْ
نعترفُ الآنَ.. بأنّا كُنّا أميّينَ..
وكُنّا نجهلُ ما نفعلْ..
نعترفُ الآنَ، بأنّا كُنّا مِن بينِ القَتَلَهْ..
ورأينا رأسكِ..
يسقطُ تحتَ صخورِ الرَوْشَةِ كالعصفورْ
نعترفُ الآنَ..
بأنّا كُنّا - ساعةَ نُفِّذَ فيكِ الحُكمُ -
شهودَ الزورْ..

نعترفُ أمامَ اللهِ الواحدِ..
أنّا كُنّا منكِ نغارُ..

وكانَ جمالكِ يؤذينا..

نعترفُ الآنَ..

بأنّا لم ننصفْكِ.. ولم نعذُرْكِ.. ولم نفهمْكِ..

وأهديناكِ مكانَ الوردةِ سِكّينا...

نعترفُ أمامَ اللهِ العادلِ...

أنّا راودناكِ..

وعاشرناكِ..

وضاجعناكِ..

وحمّلناكِ معاصينا..

يا ستَّ الدنيا، إن الدنيا بعدكِ ليستْ تكفينا..

الآنَ عرفنا.. أنَّ جذوركِ ضاربةٌ فينا..

الآنَ عرفنا.. ماذا اقترفتْ أيدينا..

نزار قباني

(يا ست الدنيا يا بيروت)

8

أول مرة يزور فيها بيروت عاصمة لبنان، في الوطن العربي لم يزر سوى مصر والإمارات أثناء توليه مهام وزارة الصحة، وهو الآن في مهمة أكبر وأسمى من كل زياراته السابقة، هو الآن يبحث عن جمانة ضاهر، عن الفتاة التي سيعيش معها بقية حياته... عن حبه القادم إلى حضنه بكل قوة.

عند هبوط الطائرة على أرضية مطار الشهيد رفيق الحريري خفق قلبه بقوة لم يعهدها من قبل، ليس خوفاً من هبوط طائرة اعتاد ركوبها، بل شوقاً إلى حبه الحالم، كان آخر مسافر يخرج من الطائرة كما اعتاد دوماً أن يفعل، شكر المضيفين وكابتن الطائرة وخرج إلى المطار عبر الجسر المخصص لذلك، تنفس الصعداء عند دخوله أرض المطار، دخل دورة المياه وتوضأ ليصلي المغرب والعشاء.

أخذ حقائبه من المنطقة المخصصة لذلك، كانت حقيبتان مليئتان بالملابس، قمصان وبناطيل وجينزات وملابس داخلية وعطور ومستلزماته التي يحتاجها أي رجل أنيق في عمره، لم يكن ينتظره أحد في صالة القدوم، التي نرى فيها أشخاصاً يرحبون بعودة أهلهم إلى ديارهم بدراما ما تلبث أن تعود إلى الواقع بعد فترة ليست بالطويلة.

في بيروت لا يستمر شعورك بالغربة عن وطنك، سوى خمس دقائق فقط، عندما تجد ابتسامة صادقة من موظفة الجمارك الرقيقة... أهلين بيك في لبنان... أول مرة بتجي علبنان... وين نازل بلبنان، تكسر الحاجز النفسي الذي قد يصنع مع أبناء البلد الذي تزوره أول مرة في حياتك.

فندق كراون بلازا بيروت هو الفندق الذي سيمكث فيه، في منطقة الحمراء العتيقة والمزدحمة (المعجوقة)، وهو من فنادق الخمس نجوم الممتازة والمحترمة في بيروت رغم أن البعض لا يفضله.

لم ينم تلك الليلة جيداً، ليس لكونه وحيداً في جناحه لأنه قد تعوّد على الوحدة من زمان، كان يفكر دوماً فيها فتأرق نومه، سيجعل يومه الأول في بيروت للتعرف على معالمها وكورنيشها الجميل، تعوّد على الإفطار مبكراً فاختار مقهى ستاربكس العريق في شارع الحمراء على بعد خطوات من فندق كراون بلازا، اللبنانيون من الجيل الجديد يعشقون المقاهي الحديثة، تجدها دوماً مكتظة بالزبائن طوال اليوم من مواطنين وسياح.

تعرّف في المقهى على فرانسوا، سائق يمتلك سيارة من نوع نيسان صني، وعرض عليه إيصاله إلى أي وجهة يريدها في لبنان، اتفق معه على الأجرة بكل مشوار يقلّه فيه، وبدأ مشاويره في لبنان بزيارة إلى تلفريك جونيه ومغارة جعيتا.

كان ركوب التلفريك المطل على مناظر رائعة جداً أمراً جميلاً بالنسبة له وفيه نوع من المغامرة، وزيارته لمغارة جعيتا الأثرية من الأمور المشوقة رغم أنه لا يهتم بالتاريخ والحضارة كثيراً، رغم التوتر الذي انتابه بعد انقطاع التيار الكهربائي وتوقف التلفريك لمدة عشر دقائق معلقاً بين السماء والماء لكنه وصل بالسلامة إلى المحطة في جونيه.

بعد رحلة جونيه، عاد إلى بيروت وتمشى قليلاً على كورنيش بيروت الرائع، تربى مع البحر وأصبحت علاقته معه علاقة من نوع خاص لا يدركها إلا أبناء البحر، اختار مطعم الصخرة ذو الإطلالة الجميلة على البحر ليتناول فيه غداءه ويستمتع بمنظر غروب الشمس البديع.

مساء زار الجامع الأمين في وسط بيروت وصلّى المغرب والعشاء، ما لفت نظره هو السماح للأجانب وغير المسلمين بدخول المسجد ورؤيته من الداخل وهذا بحد ذاته دعوة إلى الدين الإسلامي، ويقرب بين المسلمين وأتباع الأديان الأخرى.

سهرته في تلك الليلة كانت في السوليدير، حيث المقاهي والمطاعم والحياة الليلية الساحرة في بيروت، حيث أبناء الخليج يمارسون هوايتهم المفضلة في السهر حتى الفجر، السهر طلباً لود بيروت وحباً فيها، سهر مع أبناء جلدته في تلك الليلة حتى الواحدة واكتفى بذلك، اختار مطعم فراديز الشهير وتناول فيه عشاءه، في السوليدير التقى بفتاة لبنانية، قبّلته على رأسه لأنه أصبح (شيبة) وعجوز، قالت له إنه عالج أخاها الصغير وائل في مستشفى الملك فيصل التخصصي بجدة، عرضت عليه خدمتها له وأعطته رقم هاتفها الجوال ليتواصل معها لأنها تعتبره في مقام والدها الذي استشهد أثناء الغزو الإسرائيلي الجائر على لبنان عام 2006م.

عاد إلى الفندق لينام ويرتاح، ويستعدّ لرحلة البحث عن لبنانية تدعى جمانة ضاهر يتمنى أن يراها ويقبلها ويعيش ما تبقى من عمره في حضنها، ويسمع صوتها ثم يعود معها إلى وطنه أو يبقى معها إلى الأبد في بيروت.

عندما نكون قرب من نحب نشعر بحياتنا غدت سعيدة بعد كآبة دامت طويلاً، أن تشعر أنك في نفس المدينة التي يسكن فيها من تحب وتعشق يجعلك تشعر بحب تجاه هذه المدينة وكل أهلها، تمشي في نفس الشوارع التي مشت فيها، في الشوارع التي خطت فيها خطواتها أصبحت الشوارع مقدسة بالنسبة له، الهواء أصبح هواء نقياً خالياً من الشوائب والملوثات، الحياة أصبحت جميلة ورائعة أكثر من أي وقت مضى.

بنى كل آماله وأحلامه على حلم يدرك في قرارة نفسه أنه حلم صادق، وهذا ما جعله يسير في اتجاه تحقيقه... أحلام الحب دائماً صادقة لا تكذب أبداً، لكنها في أحيان كثيرة تكون مضللة وليست واضحة، علينا السير في طريق أحلامنا والحب هو الحلم وهو الحياة.

9

صباحات بيروت الجميلة لا يدرك جمالها إلا من عاش تلك اللحظات المليئة بالحياة، دائماً المدن العظيمة لها صباحات مختلفة عن غيرها، مدن كلندن وباريس ومدريد، وبيروت مختلفة عن أي مدينة في هذا العالم لأنها بيروت، صباحها الجميل يجبرك على القيام من سريرك مبكراً لتستمتع بكل لحظاته متناسياً حاجتك إلى النوم لساعات أخرى كونك من عشاق السهر.

صباحات الوجوه والمناظر الجميلة، من خلال وجوه البشر خصوصاً في الصباح ندرك مقدار حبهم للحياة... مقدار سعادتهم، وجوههم تدل على حياتهم وتكشف حقيقتهم وتعريهم، هل من حياة ينعمون بها؟؟ هل من حرية يعيشونها؟؟ الحرية هي أهم عامل يجعلنا سعداء في هذه الحياة... الحرية أو الموت كما كتب الروائي العالمي نيكوس كازانتزكيس.

لا زالت جمانة متمسكة بالأمل في شفاء زوجها، تأمل في عودته للحياة، لا حياة دون أمل، أمل بأن نحب وأن ننجح وأن نشفى، أمل بأن نموت أحياناً، لا زالت تتذكر ليلة زفافها، الليلة التي أحبته فيها، أحبته كزوج لها، كأب لها، لأنه يكبرها بخمس عشرة سنة فقط، احترمته كثيراً لأنه ناضج الفكر والخلق، ترددت كثيراً قبل أن توافق على الزواج منه ليس لكونه خياراً وحيداً أمامها بل لأنه كان الخيار الأفضل.

كانت في الخامسة والعشرين من عمرها عندما تزوجته، كانت جميلة جداً ولا زالت محافظة على جمالها الطبيعي دون عمليات تجميل أو تكبير أو تصغير، عاشت معه خمس سنين ثم أصابه المرض،

خمس سنين كان مغرماً بها وحاملها على كفوف الراحة، لا تنكر أنها أحبته لكنها لم تغرم به كثيراً، لم ينجبا أطفالاً لأن القدر لم يشأ لهم ذلك، والقدر اختار الأفضل لطفل قد يأتي إلى الدنيا بأب على شفا حفرة من الموت وهو إلى الموت أقرب منه إلى الحياة.

زوج جمانة ضاهر يرقد في مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت منذ شهرين، بعد اكتشاف معاناته مع سرطان الدم المزمن، واكتشف المرض متأخراً جداً، وهذا ما سيقلل من فرصة شفائه من المرض، لكن الأطباء لا زالوا متمسكين بالأمل في شفائه كتمسك جمانة بالأمل في عودته للحياة، اسمه جورج حرب مسيحي لبناني تاجر له محلات ملابس نسائية في الحمرا وفي جونيه، تزوجها بعد أن أحبها رغم كونها مسلمة سنية، تناسى ذلك وتذكر جمالها وأخلاقها وروحها فقط، عملت لديه في دكانه بشارع الحمرا ولا زالت مشرفة على محله حتى بعد زواجه منها، كانت تلك الفتاة التي تعرف كيف تجذب العملاء إلى المحل بأسلوبها الجذاب ومعرفتها بأصول البيع والشراء وذوق المرأة من كل الجنسيات.

رغبة الإنسان في الموت تتجلى بمرضه، ملامح وجه المريض تعطيك إشارة إلى أنه مودع لهذه الحياة إلى حياة أخرى، المرض ليس سوى ملمح من ملامح الموت إن كان للموت ملامح.

لا تزال ملازمة له في المستشفى منذ تلك اللحظة التي اكتشف فيها مرضه الخبيث، لم تفارقه ولن تفارقه حتى يشفى أو يموت، علاج الأطباء له أقرب إلى علاج الرحمة وتخفيف الآلام وليس علاجاً شفائياً من مرضه لأن الأمور باتت واضحة بالنسبة للأطباء أن الشفاء من المرض شبه مستحيل.

وجود كروموسوم فيلاديلفيا في فحص كروموسومات جسمه هو

التشخيص الدقيق لمرضه الخبيث، حصول شذوذ جيني يؤدي لحدوث المرض، فيلاديلفيا نسبة إلى المدينة التي اكتشف فيها هذا الكروموسوم اللعين، ويحدث المرض بسببه وتضيع أحلام وأماني لأشخاص عاشوا حياتهم وبنوها على الأحلام وعلى الحب.

تقضي معظم ساعات يومها بالقرب من سريره على كرسي من الخشب، تمسك يده التي أنهكها المرض، تلمس رأسه الذي أصبح خشناً جداً، تمرِّر يدها على جسده وتشعر بمعاناته وآلامه، لا يريد الحديث عن حالته، فقط يريد الحديث عن حبه لها، أما عن غير ذلك فلن يستطيع الحديث لأنه خلق ليحبها وسيموت على حبها، تضع رأسها على حافة سريره الأبيض وتحلم بأن يعود ويشفى من مرضه.

لا تعرف غير بيروت بلداً لها ووطناً، عاشت فيه وكبرت على تربته الندية الطاهرة، كانت الطفلة الأولى لوالديها وبعدها قدم أخوها سعد لهذه الدنيا، اكتفت بشهادة الثانوية العامة ولم تدخل إلى الجامعة لأنها لم تكن ترغب بذلك، كانت مثقفة لأبعد الحدود، تعتمد في ثقافتها على قراءة روائع الأدب العالمي من قصص وروايات ومسرحيات، وكتاب أمريكا اللاتينية والواقعية السحرية التي سحرت الملايين خلال فترات طويلة جداً، وقراءة المجلات الثقافية والصحف، اعتمدت في ثقافتها على القراءة وليس على التعلم من خلال الدراسة، كانت تشتري الكتب والمجلات من مكتبة (أنطوان) في الحمرا أثناء تجولها في الشارع الذي شكل شخصيتها وثقافتها المنضبطة والملتزمة بأخلاقها كلبنانية أصيلة من أسرة سنية، كانت تهدف إلى الحصول على المعرفة وليس على الدرجة علمية، لأن المعرفة هي الهدف الذي نسعى إليه سواء عن طريق الدراسة أو القراءة الحرة أو التدريب العملي، وليس كل شخص حاصل على شهادة يعتبر متحصلاً على المعرفة.

عملت في مكتبة (أنطوان) بعد حصولها على شهادة الثانوية العامة وإجادتها للغتين العربية والإنجليزية، عملت لمدة سنتين، كانت تستمتع كثيراً بمهمتها كمرشدة للقارئ إلى الكتاب الذي يريده، واستغلال وقتها في القراءة وتحديداً قراءة الروايات، ومعرفة الجديد في عالم الكتب العربية والأجنبية.

لم تتخل عن المكتبة لكنهم هم من تخلوا عنها، صرفت من العمل لتكدس الموظفين في المكتبة، كانت تريد أن تبقى موظفة في مكتبة تخدم من خلالها الثقافة والعلم لأنها كانت مستمتعة بذلك، كانت مغرمة برائحة الحبر والورق، بالفرحة التي تراها في أعين الزبائن المثقفين عند شرائهم رواية أو مجلة أو أي كتاب كانوا متلهفين لشرائه منذ فترة.

بحثت عن عمل آخر، وبعد شهور استطاعت الحصول على عمل جيد في محل (حرب) للملابس النسائية في الحمرا، كان الراتب معقولاً بالنسبة لها، واستطاعت سريعاً الانسجام مع الفساتين والملابس، وكيفية التعامل مع الزبائن الذين هم غالباً من النساء اللاتي يجرين وراء الموضة وكل ما هو جديد في ملابسهن، يهتممن بالملابس والموضة أكثر من اهتمامهن بعقولهن.

لم تكن لها علاقة مباشرة مع جورج صاحب المحل، لم تلحظ اهتماماً كبيراً منه بها، حتى بعد تعيينه لها مشرفة على المحل ومديرة له، لم تكن تعرف أنه يعشقها، لكنه لم يفصح لها عن مشاعره إلا بعد فترة طويلة، وكان الزواج منها هو هدفه وغايته لأنه كبير على الصداقات والعلاقات التي لا تهدف إلى الزواج، حدد موعداً مع أهلها ليتقدم طالباً يدها بكلاسيكية وتقليدية معروفة في مجتمعاتنا العربية.

ترددت كثيراً قبل أن توافق على الزواج منه، لم تحبه قبل الزواج

به، هو شخص خلوق وناضج فكرياً ووسيم ككل اللبنانيين، كانت تريد زوجاً يحترمها ويقدرها وهذا ما توقعته من جورج حرب، كان أكبر منها وأخبر منها بالحياة وبالحب، بعد الزواج أصبحت تحبه، رغم ذلك مرت حياتهما بشيء من الفتور والبرود، كانت تريد أن تنجب طفلاً منه جميلاً مثله، لكن القدر جعل الموت أقرب من الحياة إلى حياتهما معاً.

10

الدكتور حمود الوزير السابق لا زال يبحث عن عروسة بحر متوسطية في بيروت، سيبحث عن جمانة بين مليوني شخص يعيشون في هذه المدينة العظيمة، سيبحث عنها في الأشرفية وعين المريسة والحمرا والمصيطبة والمرفأ ووسط المدينة، سيبحث عن رائحتها التي لا يعرف مذاقها، سيبحث عن جسدها الذي لا يعرف أي شيء عنه سوى أنه جميل جداً في نظره، أي ورطة حب ورّط نفسه فيها، هذا ما يسمونه أحياناً بالحب المستحيل لعدم وجود المحبوبة سوى في أضغاث أحلام حبيبها.

هو مستمتع جداً بوجوده في بيروت متسكعاً بين شوارعها وأحيائها، باحثاً عن طيف أنثاه المنتظرة، عن ظل حبه، عن جمانة ضاهر، عن الفتاة التي وعد بها من خلال أحلامه الوردية، عن الملاك الذي ينتظر أن يقوده إلى الجنة، أن يقوده إلى الحياة التي يريد أن يذوق طعمها منذ فترة، عن علاقة الحب الأبدية بين رجل وامرأة يدركان أنهما خلقا ليعيشا تحت سقف واحد كعصفورين في قفص واحد لكنه لا يقيد حريتهما بل يشعلها.

قرّر أن يخفف من قلقه وتوتره بالذهاب إلى السوق ومشاهدة فيلم في السينما، فاختار له سائقه فرانسوا سوق الـABC مول في الأشرفية، أحد أشهر المراكز التجارية والترفيهية في بيروت، فيه المحلات التجارية المختلفة التي يصل عددها إلى 200 محل، والمطاعم والمقاهي المميزة والمريحة للمتسوقين، وصالات السينما المنتشرة في السوق، اختار المطعم الإيطالي (الطلياني) الذي يفضله دوماً لكونه مليئاً بالخضراوات

وزيت الزيتون، تناول بيتزا نابولي الشهيرة واللازانيا المميزة والسلطات المفيدة التي يشتهر بها المطبخ الطلياني.

قرّر أن يشاهد فيلم (ظرف طارق) للنجم المصري أحمد حلمي، الذي يقوم بدور موظف في شركة الاتصالات ويقع في حب فتاة من خلال سماعه لصوتها الرقيق وبعد ذلك تدور أحداث الفيلم بطريقة كوميدية ومنحنيات رومانسية يجيدها أحمد حلمي ببراعة، أحمد حلمي الممثل الأفضل عربياً ككوميديان من درجة هوليوود بعيداً عن قذارة عادل إمام وتهريج رمزي، خرج من صالة السينما فرحاً جداً لأنه استمتع بالفيلم ولأنه أول مرة يشاهد فيلماً من خلال شاشة السينما، لعدم تواجد صالات السينما في السعودية حيث تعتبر مثل بيوت الدعارة... قمة التخلف، السينما تصنع ثقافات شعوب وتصنع أمماً موجودة في العالم من خلال السينما، غياب السينما يعني غياب ثقافة لدى شعب كامل، يعني أن ينظر العالم إلينا بأننا متخلفون في ثقافة صناعة السينما.

أناشد من يملك السلطة أن يوقف هذا التخلف الذي يحاول البعض أن يعيشنا فيه، من خلال السماح بتواجد صالات السينما، وإيجاد مؤسسة معنية بصناعة السينما السعودية لإيصالها إلى العالمية، وإبراز صورة مجتمعنا من خلال الأفلام بكل أنواعها القصيرة أو الروائية الطويلة أو الوثائقية... أناشد الله فهو وحده من يملك السلطة.

مكتوب علينا نشتاق للحب الهني... صوت مسجل فرانسوا يصدح بصوت المطرب وائل كفوري، لو حبنا غلطة... تركنا غلطانين، سأله حمود عن فيروز والرحابنة وعن الطرب اللبناني الأصيل، قال له فرانسوا:

- حتى وائل وراغب وعاصي عمبيغنوا طرب أصيل، أما فيروز فهي زي العلامة اللي بتميز لبنان عن غيره، هي حاجة استثنائية.

سألوني الناس عنك يا حبيبي...

كتبوا المكاتيب وأخذها الهوا

أغنية فيروز الجميلة المعبرة التي دوماً ما كان يدندن بها منذ شبابه، كان يسمع فيروز عبر المذياع وأحياناً بشراء بعض أشرطتها رغم التضييق الـذي كان يمـارس عليـه من قبـل بعض زملائه في المدرسـة والجامعة بسـبب أن الموسـيقى (محرمة) وأنها فسـق وفجور، لكنه رغم ذلك كان يفتخـر أنـه من عشـاق فيـروز وأغانيها الحلوة الراقية، فيروز هي سـفيرة للطرب العربي الأصيل في العالم كله.

كان ينتظر رد موظف المديرية العامة للأحوال الشخصية في لبنان، أفهمـه حاجتـه العثـور على جمانة ضاهر ولـو من تحت الأرض، أعطاه مبلغ 5 آلاف دولار ليعطيه معلومات كاملة عنها، لم تكن رشوة له بل مكافأة على المعلومات التي سيمدّه بها عن جمانة، عن سكنها وعملها وأرقـام تسـهل الاتصـال بهـا إن أمكن، هذه الخطوة ستسـهل عليه كثيراً العثور عليها، ومن ثم يفكر كيف سيقدم نفسه لها.

يرتـاد دومـاً المقاهي الحديثة المنتشـرة في شـارع الحمرا، كوسـتا كافي وسـتاربكس كانت الأفضل بالنسـبة له، تعرّف هناك على كثير من اللبنانيين والخليجيين، في كوسـتا كافي التقى بوزير الإعلام السـعودي، كان في رحلة استجمام وتغيير جو في بيروت، تحدثا طويلاً عن الأوضاع السياسية والإصلاح في عهد الملك عبد الله، وعن حرية الإعلام وحرية التعبير، وعن الصحافة السعودية التي لم تستطع حتى الآن الخروج من الثـوب الحكومـي إلى الثوب الشـعبي الذي يريده رجل الشـارع والذي يمثل دورها الحقيقي كمؤسسـات صحفية مسـتقلة عن الحكومة، وعده بالتطور الإعلامي في عهده بإذن الله، نسي أن يتحدث معه عن الكتب الممنوعة لأغلب الكتاب والروائيين ومنع القارئ السعودي من قراءتها لأسباب غير واضحة حتى الآن.

عنـد مشـيك في شـوارع بيـروت وتجولك فيها لا تجـد من أهلها

نظرات غريبة تجاهك لأنهم تعودوا على وجود العرب والخليجيين في شوارعها حتى أصبحوا جزءاً من ثقافة هذا البلد، كل واحد في حاله، وعلى هواه، يرتدي ما يريده ويعيش بكل حرية، يتمشى مع حبيبته ويقبلها ويتبادل معها الكلمات الرومانسية دون تدخل في أموره الشخصية، دون التضييق عليه، لكن لو تجاوز ذلك إلى التعدي على الآخرين وإزعاجهم ففي هذه الحالة يجب أن يعاقب.

حتى في المعتقدات والأديان والطوائف... الجميع موجودون من كل الأديان في مكان واحد، المساجد منتشرة والكنائس موجودة بكثرة والجميع يعبد الله، والجميع يحب الله.

على حب جمانة يسهر لياليه في فندق كراون بلازا بيروت، حب تلك المرأة اللبنانية الطاهرة المقدسة التي أتته في منامه كملاك يأتي بالإيحاءات ولا يأتي بطريقة مباشرة كالبشر، طريقة الملائكة في التواجد أعتقد أنها مختلفة عنا نحن البشر، حب جمانة ضاهر الأول في حياته سيتمسك به ولن يتركه يمضي دون أن يتشبث بالأمل في نهاية سعيدة لهذا الحب، يحبها أكثر من نفسه دون أن يراها فكيف به يحبها بعد أن يراها، بعد أن يلمس جسدها الطاهر، بعد أن يقبّل خدودها مرة واحدة، كيف سيكون حبه لها؟؟ هل سيزداد حبه لها ويصل بها إلى تلك المرتبة العالية من الحب التي تأتي بعد حبه لربه ولرسوله الكريم.

يا آلهة الحب (فينوس) يا من ولدت داخل البحر وجئت إلى شواطئ قبرص في محارة، دليني على حبي، اجعليني قريباً منه ومن أنفاسه، اجعليني أنظر إلى عينيه وأرى الكون كله فيها، أنظر إلى وجهه وأشعر بأن الكون ملكي وحدي أنا، أقترب من حبي حتى ألامس جسده ثم أذوب كقطعة جليد وأصعد إلى السماء.

11

بينما هو يرتشف فنجان الإسبرسو الساخن في ستاربكس كافي القريب من مقر سكنه، وهو لأول مرة يستكشف هذا المشروب الإيطالي الساخن الثقيل جداً والمنبه لفيل وليس منبهاً لإنسان فقط، تلقى اتصالاً من العم بطرس موظف المديرية العامة للأحوال الشخصية اللبنانية الذي اتفق معه على إتيانه بمعلومات عن جمانة، أتاه بأخبار مفرحة لقلبه العاشق المتيم، أتاه بأخبار عن جمانة الطاهرة، عن سكنها ومكان عملها وأرقام للاتصال بها، كان هذا كل ما يريده حمود عنها وما يحتاجه وبعد ذلك يأتي دور العاشق في أسر قلب معشوقته وتعليقه به ببراعة.

كانت تسكن في شارع بربور قرب كورنيش المزرعة في بناية مكونة من ثلاثة طوابق، تسكن هي في الشقة رقم 4، البناية التي أسفلها سوبرماركت ومخبز الأمراء، وتعمل في محل (حرب) للملابس النسائية بشارع الحمرا، ورقم هاتفها المحمول هو...

شعر بخليط من الفرح والشوق والحب والقرب من رؤيتها، إذا صدقت رؤيته الملائكية وثبتت، سوف يراها ويقترب منها ويشاهد خطواتها أمامه حقيقة معاشة لا تحتمل التكذيب من أي بشر كان، سوف يقول لها بكل جرأة:

أنا أحبك من زمان وأريد أن أعيش قربك ما تبقى من سنوات حياتي إن أردت ذلك.

عن نفسي أتحدث... أنا لا أمتلك الجرأة الكافية لأقول لفتاة أحبها:

أنا أحبك، فكيف بفتاة لم ألتقِ بها في حياتي سوى في أحلامي

ومخيلتي، سيكون ذلك أمراً صعباً جداً يحتاج إلى تمهيد طويل وطويل جداً لينجح ويكون واقعياً بالنسبة لها ومنطقياً، وماذا بعد الحب؟ أنت تحبني والكثير مات في حبي وعشقني لكني أريد أفعالاً تثبت ما تقوله، أريد أموالاً في رصيدي، أريد ذهباً ومجوهرات تملأ ناظري وتزين جسدي الجميل في نظرك، هكذا دوماً تتحدث بعيداً عن مشاعري وأحاسيسي تجاهها كحب يملأ حياتي... أشعر أني قد اخترت الفتاة الخاطئة.

كان جالساً في المقهى مستمتعاً برؤية البشر يمرون أمامه كل إلى وجهته، ومتذكراً لأيام دراسته الثانوية في مدرسة الفلاح بجدة، عندما كان مدرِّس الأدب العربي السيد درويش يتلو عليهم شعر امرئ القيس، عندما كان يتحدث عن شعر الغزل الفاحش في الجاهلية... غزل امرؤ القيس الفاحش ومغامراته مع الحب في قصائده وشعره، والطلبة في الفصل نصف نائم والنصف الآخر يفكر في موضوع آخر ليس له أي علاقة بالأدب العربي، وحتى هو كان من النصف الأول النائم عن الحب والساهي عنه، الآن أدرك ما كان يرمي إليه امرؤ القيس بشعره الفاحش، يبدو أن وصوله كان متأخراً جداً.

كتب نزار قباني التي كانت لا تفارقني أثناء دراستي، أثناء الفسحة وبين الحصص، كنت أقرأ شعره بروح مراهق يبحث عن مخرج الحب في حياته الكئيبة، كان يكتب عن الحب والثورة، الحب والثورة هما من يستحقان فعلاً الكتابة عنهما، أتمنى أن أكتب عن الإصلاح وأجد من يعطيني الحرية الكاملة في ذلك ولا يضيق على كتاباتي، وينفذ ما كان رائقاً له ويترك ما لم يرق لمزاجه، لكن لا تمنعني من كتابة ما أريده لأنك بذلك تمنعني من ممارسة حقي كإنسان يتنفس هواء الله!!

أمامه خيارات كثيرة لا يعرف الخيار الذي سوف يختاره منها، كان

تائهاً بين كل تلك الخيارات، أن يتصل بها أو يزور منزلها أو يلتقي بها في محل الملابس التي تعمل فيه بالصدفة الكاذبة، لا يعرف الخيار الصائب الذي سيجعله متقبلاً لديها كشخص عرفها في منامه ثم أتى إلى بيروت ليمارس عليها تقاليد حب دون أدنى إدراك منها لتفاصيل هذا الحب وكينونته وأهدافه وأبعاده وحتى اسم الشخص الذي أحبها، فكّر كثيراً حتى هدي إلى الخيار الصحيح بتفكيره وعقليته هو أن يلتقي بها في محل (حرب) على أساس أنه سيشتري ملابس لأخته، ثم يفاجأ بوجود فتاة جميلة عذراء اسمها جمانة ضاهر، فيحاول التقرب منها بأن يقوم بدعوتها لاحتساء فنجان قهوة في أحد مقاهي السوليدير، هذا ما فكر فيه وسيحاول تنفيذه لأن صبره قد نفد ويريد أن يرى فتاة أحلامه حقيقة واقعة.

اشترى دفتراً صغيراً من نوع (روكو) 60 ورقة، ليكون كمذكرة خاصة بعلاقته الحالمة مع حبه جمانة، ودوّن على صفحته الأولى اسم حبيبته جمانة ضاهر والمدينة التي تعيش فيها، وفي الصفحة الثانية كتب كل المعلومات التي أمدّه بها العم بطرس، وكتب التاريخ المهم في حياته والمصيري الذي سوف يلتقي بجمانة في ظل يومه... 1 مايو 2007م.

12

تنظر في عينيه وترى شبح الموت القريب فيهما، تقبّل جبينه وتمسح على رأسه بمحبة وشفقة، وهو لا يقوى إلا على تقبيل يدها القادمة إلى فمه ليقبّلها ويمارس عليها مشاعر حب تجاهها، يدرك أنه سيحرم من تقبيلها بعد فترة ليست طويلة، سيحرم من رؤية تلك العينين الساحرتين، العينين التي جعلته يحبها بعد رؤيته لها في محله في أول مرة يراها فيها، رأى في عينيها براءة أنثى تحب الحياة وتنشر حبها وحنانها على كل من حولها، تقرّب يدها من فمه وهو يقوم بمص إصبعها الصغير كما كان يحب أن يفعل دوماً معها في كنبة الصالة أثناء مشاهدتهما للتلفاز معاً وأمامهما صحن مليء بالفوشار وآخر مليء بالمكسرات.

كل يوم تتحدث جمانة مع الطبيب المشرف على حالته وليس هناك أي جديد، الموت يقترب منه بسرعة مخيفة، وستزداد حالته سوءاً في الأيام القادمة، لكن إرادة الله فوق كل شيء، وليس أمامنا سوى الدعاء له، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

عندما تشعر بأن شخصاً قريباً منك سوف يكون قريباً من شبح الموت، وأنت لا تستطيع فعل أي شيء لإنقاذه من براثين الموت المهلك تشعر أنك عاجز ولا قيمة لك في حياتك من أجله، لكن في النهاية هو الموت وكلنا في طريق ممهد إليه سواء بالطريق السريع أو البطيء، ولعل الذي يسرع إلى الموت سيرتاح من هموم كثيرة في دنياه، وينتقل إلى العيش في مكان أفضل وأجمل من حياتنا.

تحدث معها كثيراً في الأيام الأخيرة، عن وضعها بعد وفاته، عن حياتها بعد رحيله، وعن تجارته بعد رحيله، اقترح عليها أن تتزوج بعد

وفاته وتعيش حياتها وأن تؤمن مستقبلها ولا تحاول تصنع الوفاء تجاهه لأن هـذا قـد يضرهـا ولن يفيدها، لم تكـن موافقة على اقتراحه لأن فيه خيانة واضحة لشخص جعلها ملكة وهي إنسانة بسيطة، لشخص أحبها كمـا لـم يحـب أحداً من قبل في حياتـه، فكيف تتزوج بعد وفاته، كيف تحب رجلاً بعد أن تصبح أرملة جورج حرب، لا ترغب بسـماع كلام كهـذا منـه، سـتظل متعلقـة بـه حتـى لو رحل عـن حياتها لكنه سـيكون موجوداً في قلبها.

هل نتصنع الوفاء أحياناً لأشـخاص في حياتنا؟؟ ومن ثم نكتشـف أننا بوفائنا لهم نضر أنفسـنا ونتعس في حياتنا، لأننا كنا أغبياء بمواقفنا المثالية تلك، بوفائنا لأشـخاص ليسـوا جديرين بوفائنا، وحتى لو كانوا مستحقين للوفاء قد لا يعني الحب بعد رحيلهم بالضرورة خيانتنا لهم، بل قد يعني استمرارية للحياة بعد وفاتهم وإدراكنا أن الحياة هي سلسلة متصلة من البشر، وهذه دوماً سنّة الله في خلقه.

الحب الميت

13

توقع أنه سيلتقي بها في المحل فجهّز نفسه وأعدّ العدة لرؤيتها، هيّأ نفسيته لرؤية جمالها الأخاذ، وارتدى أحسن الملابس التي يمتلكها، والساعة الثمينة والحذاء الإيطالي الأنيق وذهب إلى حلاق لبناني ليخفِّف شعره ويحلق ذقنه وشنبه ويصبغ بعض الشعر الأبيض الذي تغلغل في شعره قليلاً، وقام بشراء باقة ورد لها لتكون عربون محبة بينها وبينه، يا له من وزير جريء جداً، والجرأة قد تكون مطلوبة لتنال حبك، لأن البعض أحياناً قد ينجذب إلى الشخص المحب بجرأة ويتعلق به.

وهو في طريقه إلى محل (حرب) للملابس، دارت في مخيلته أمور كثيرة جداً، أمور جميلة وأخرى قبيحة، كائنات ملائكية وأخرى شيطانية، فتاة جميلة وأخرى تعيسة، مخيلته اتسعت لفتيات كثيرات، توقعتها كبائعة أو مشرفة على محل أو خادمة في المحل، تخيلت احترام الجميع لها وتخيلت تجاهل الجميع لها، لم يتوقع أبداً أن يلتقي بفتاة كاملة لأنه ليس هنالك أي كمال على وجه هذه الأرض، لكنه تمنى أن ترضي طموحه كإنسان حلم بها في منامه ثم التقى بها في الحقيقة كإنسانة حقيقية.

عند دخوله المحل شعر بشعور غريب لم يعشه إلا في تلك اللحظة فقط، شعور خوف وترقب يملأ روحه، شعور أمل بحب ينتظره بشغف، جال بنظره في المحل، لم يجد سوى باعة ذكوراً، ولم يجد أي بائعة أنثى في المحل، كرّر مشيه في المحل وتجوله فيه لعشر مرات تقريباً وليس سوى ثلاثة باعة ومشرف من الرجال، سأل المشرف على المحل عن موظفة في المحل تدعى جمانة ضاهر لأنه يحتاجها في أمر مهم

جداً، قال له إنها في مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت، في المستشفى هل هي مريضة لا قدَّر الله؟ بل زوجها هو المريض يعاني من سرطان الدم أبعد الله الأمراض عنك وعن القارئين الكرام، فاجأه جداً موضوع زواجها حتى الصدمة التي لم تكن متوقعة بالنسبة له ولو بنسبة 1 في المائة، لم يكن يتوقع أن يحب امرأة متزوجة ومرتبطة، يعني امرأة لا زالت تمارس الحب مع ذكر قبل رؤيته وتعلقت بقلب شخص آخر قبله وتنام معه على سرير واحد.

بعد الصدمة كان في طريقه للعودة إلى الفندق، لكنه وفي لحظة تفكير عميق جداً قرّر أن يزورها في مستشفى الجامعة الأمريكية ويزور زوجها المريض، هي لحظة إنسانية لم تخلُ من تعلق بالأمل في أن يكون بقربها على الأقل ولو لفترة قصيرة، ويشعرها بحبه لها وعشقه لها، ويخفف عنها ما تعيشه من ضغوط وآلام ويساعدها في تحمل تلك اللحظات الصعبة جداً على أي كائن مهما كان ما يملكه من إيمان وصبر وجلد.

عاش لحظات مع الصدمة، ثم استرجع حالته الطبيعية واتزانه نفسياً ومعنوياً وفكّر بشكل جيد ليقرِّر أن الأمل لم ينته بعد ولا زال هناك أمل في إكمال قصة حبه مع جمانة ضاهر لأن الحياة دون أمل لا تعني شيئاً.

وصل إلى المستشفى وهو قلق ومتوتر رغم أنه متعود على أجواء ورائحة المستشفيات ونصف حياته كان قد قضاها في مستشفيات السعودية وكندا، توتره كان بسبب جمانة ضاهر، بسبب الحب والخوف كذلك من الحب، الخوف من رؤيتها ورؤية منظرها القلق مع زوجها المريض، الخوف من صدمتها عندما ترى شخصاً سعودياً ووزيراً سابقاً للصحة يزور زوجها في المستشفى دون أي معرفة مسبقة به أو حتى بها، الخوف من عدم قدرته على أن يفهمها ما الذي أتى به إلى بيروت

وجعله يستقيل من الوزارة ويفضل امرأة متزوجة على كرسي مجلس الوزراء المريح.

دخل الجناح الذي يرقد فيه جورج حرب، يرقد فيه زوج جمانة المريض بالسرطان، احتفظ بباقة الورد التي اشتراها لتكون عربون محبة بينه وبين زوجة جورج، تسمّرت قدماه لدقائق معدودة، لم يتكلم ولم ينبس ببنت شفة، إلى أن سمع صوت جورج المبحوح... (مين إجى يا جمانة)، أخيراً نطق الوزير، وسلّم على المريض ورأى بطرف عينه الحبيبة، أهداه باقة ورد كان يريد أن يهديها لجمانة، ورأى بعينيه حبه الحالم أمامه لا يفصل بينه وبينها سوى موضع قدم فقط، مدَّ يده ليصافحها متمنياً لزوجها الشفاء العاجل، جورج وجمانة لم يحرجا الوزير بسؤاله عن سبب زيارته وعن معرفته بهما، جلس قليلاً على كنبة الجناح الحمراء متأملاً جمانة الكائنة أمامه، خمس دقائق كانت كفيلة بأن يحفظ حدود جسدها المتناسق ووجهها البريء المتفائل، عرض عليهم المساعدة والعون في شفاء جورج بنقله لأفضل مستشفيات العالم، لكنهم رفضوا لأن الأطباء هنا يقومون بما يلزم وأكثر وما ينبغي القيام به لتخفيف آلام جورج ومحاولة شفائه من السرطان القاتل، وتمنّى لجورج أن يشفى في القريب العاجل ووعده بزيارته في أقرب فرصة ممكنة.

خرج من بوابة مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت وهو يتصبب عرقاً، تغيرت ملامح وجهه والتوتر كان بادياً عليه، لم يصدق نفسه بعد رؤيته لجمانة، فرح جداً لأنه رأى ملامح وجهها البريء، ملامح حبه القادم حتى لو كان هذا الحب مرتبطاً بعلاقة مع رجل آخر، عاد إلى الفندق ودخل جناحه في الطابق الثالث وخلع حذاءه وملابسه وارتدى بيجامة نومه وفتح دفتر جمانة وكتب بخط رقعة جميل، التقيت بحبي وكانت ملكة كما توقعت وحلمت بها، بعد ذلك استسلم لنوم عميق لم

يهنأ به منذ ذلك اليوم الذي رأى فيه حلم جمانة ضاهر.

1 مايو... يوم مقدس بالنسبة له على الأقل لأنه رأى جمانة، لأنه رأى الحب أمامه كحقيقة ومسَّ يدها الكريمة التي تستحق التقبيل، وتنفست رئتاه هواء الغرفة التي تتنفس منها، رؤيته لملامح وجهها كانت كفيلة بأن يصبح متمسكاً بها أكثر من أي وقت مضى، كانت ملامح وجهها تشبه ولدرجة كبيرة جداً الممثلة الإيطالية العالمية وعارضة الأزياء المعروفة (مونيكا بيلوتشي)... بطلة فيلم (Malena) وفيلم (Don't look back).

14

يناير... 2011م

هل قرّر العرب أخيراً أن ينتفضوا؟؟

أن يثوروا على الحكام والرؤساء والملوك والأمراء يطالبوهم بالرحيل ليبدأوا التغيير والإصلاح ولو متأخراً، ثورة تونسية وأخرى مليونية مصرية تطالب بتغيير الأنظمة المستبدة إلى أنظمة تقوم على أساس الحرية والعدالة الاجتماعية، على محاربة الفساد وعلى نظافة القضاء من أيادي السلطة العابثة.

أربع سنوات قضاها متنقلاً بين جدة وبيروت، ليرى جمانة ويطمئن عليها وعلى زوجها جورج الذي لا يريد مفارقة هذه الدنيا سريعاً حيث استطاع الصمود في وجه الموت لسنوات، كان لجمانة دور كبير في صموده إلى اللحظة التي أصبح الصمود فيها مستحيلاً أمام شبح الموت الذي يلازمه كظله.

مات جورج ورحل بعد معاناته مع المرض، هل يمكن له أن يفرح بموت أي إنسان في هذا العالم؟؟

سيكون حينها مجرداً من الإنسانية تماماً وهو الطبيب الخلوق الذي يريد شفاء الناس ليرتاح، حزن على رحيله كرحيل أي شخص يعرفه، قام بواجب العزاء على أكمل وجه، رحيل زوج حبيبته لم يكن مفرحاً بالنسبة له لكن المفرح بالنسبة له على الأقل هو قرب تكوينه لعلاقة مع جمانة... مع حبيبته.

الساحة الآن خالية أمامه ليقترب منها أكثر، ليثبت لها أنه يعشقها أكثر من الهواء الذي يتنفسه... أكثر من الحياة كلها، يحكي لها قصة

منامه الذي جعله يستقيل من وزارة الصحة ويحضر بكل روحه إلى بيروت، لينفذ الوصية التي أمره بها حلمه المقدس، أن يكون قرب جمانة ضاهر وتكون له بمثابة المنقذة لحياته من خلوها من الأنثى التي لم يحب من جنسها سوى جمانة.

غادر جورج الدنيا وترك له وصيته البريئة... جمانة، لم يوصه عليها لكن القدر أوصاه بالمحافظة عليها أكثر من نفسه، القدر جعله الوصي عليها كمحب وعاشق لها، كأي عاشق للجمال في هذا الكون، تمنى أن يختار الفتاة التي يحبها بدقة متناهية من بين جميع الفتيات، لكن يبدو أن القدر قد اختار له امرأة لبنانية جميلة لكنها أرملة بعد رحيل زوجها.

يرى في وجهها تساؤلاً منذ أول لحظة زار فيها المستشفى ليطمئن على صحة زوجها واستمرار تواصله معها ومعه إلى أن رحل، لكن هذا التساؤل والاستغراب لم يمنعه من إنجاز ما كان راغباً بإنجازه وهو القرب منها في بيروت رغم عودته لجدة في فترات معينة خصوصاً في شهر رمضان المبارك وشهر ذي الحجة لأداء فريضة الحج عن جمانة رغم أنه ليس متيقناً من عدم أدائها الفريضة، لكن بالنسبة له سبق أن حجَّ ثلاث مرات ولله الحمد والمنة.

عرف أنها مسلمة بسبب مصحف كانت تقرأ فيه بتفكر داخل غرفة جورج، تقرأ القرآن الكريم وتطلب من الله الرحمة بها وبه وتخفيف آلامها وآلامه التي يعاني منها، وحتى لو لم تكن مسلمة فلن يغير بالنسبة له أي شيء لأن الحب نادراً ما يعترف بالأديان وباللغات، لغته الوحيدة هي عاطفة القلوب والتقاء الأرواح في ملكوت الله.

تجاوز الخمسين من عمره ولم ينم بعد مع امرأة على سرير واحد يجمعهما فيه حب وعشق، لم يصل إلى النشوة التي يسعى الجميع إلى

بلوغهـا، لأنـه يريد أن يبلغهـا على طريقته الخاصة وليس على طريقتهم التي يريدونها، لكنه الآن يمارس حباً مع جمانة بدأت تفاصيله منذ تلك الليلـة التـي رآهـا فيهـا كحلم ثم رأى حقيقتها فـي بيروت كملكة جمال تريده أن ينقذها من محنة موت زوجها ورحيله عن الدنيا.

الحب يستأذن المرأة في أن يدخل قلبها، وأما الرجل فإنه يقتحم قلبه دون استئذان، وهذه هي مصيبتنا.

(برنارد شو)

لا يـدري مـاذا يفعـل مع امرأة مات زوجها، ليس محرجاً من حبه لها لكن الوقت ليس مناسباً للحب على الأقل وقت عدتها التي ستستمر أربعة أشـهر وعشـرة أيام، بعدها سـيحاول اسـتمالتها ويحاول أن يكون حضناً دافئاً لها وممتصاً لصدمتها بعد رحيل زوجها.

قرر أن يعود إلى ممارسة طب الأطفال في بيروت خلال الأشهر القادمـة لأنهـا مهنتـه التـي قاتل مـن أجلها كثيراً، فتطـوّع للعمل كطبيب أطفال في مستوصف وسط بيروت، ممارسة الطب تعني له الكثير فهي تشبه البيانو أو الجيتار بالنسبة لعازف، يجب ألاّ ينفصل عنها كثيراً وإلا سـوف يفتقـد حساسـيته تجـاه الأطفـال ويفتقـد إلى التشـخيص المثالي لعلتهم.

فترة عمله كطبيب أطفال في المسـتوصف جعلته قريباً من العائلة اللبنانية ومن الأطفال اللبنانيين، رغم استغراب الجميع في المستوصف مـن عملـه فيـه رغم كونه وزير صحة سـابق لكنهـم افتخروا بكونه طبيباً يعمـل معهـم بكل المؤهلات والخبرات التـي يمتلكها، كانت الأمراض الشـائعة لديهم مختلفة عن الأمراض الشـائعة في المملكة بسـبب البيئة

والحروب وأسباب أخرى كثيرة.

المجتمع اللبناني بحكم خبرتي فيه هو مجتمع متعدد الطوائف والمذاهب لكنه يلتقي في حبه لوطنه ولقوميته العربية بشكل كبير، كان الأطفال يأتون إلى حمود من جميع الطبقات والأديان، كانوا جميعاً بنكهة لبنانية خالصة وجميعهم يحبون الله أو باللهجة اللبنانية (ألّ لّه).

15

لـم تكـن جمانـة متيقنة من رحيلـه، كانت حياته لكل يوم تزيد من آمالهـا فـي بقائـه إلى الأبد، كانت تحبه لأنه زوجها الذي قدّرها ووضع لهـا مكانـة خاصة في قلبه لا يشـاركها فيهـا أحد في هذا الكون، قدّرها فازدادت ثقتها بنفسـها وبجمالها وأنوثتها وقيمتها في هذه الحياة، لكنه رحل وغادر وهذه إرادة الله سبحانه.

قررت ألاّ تزور قبره أبداً بعد وفاته، لأنه سيكون موجوداً في قلبها إلـى أن تمـوت هـي الأخـرى، تدعو له بالرحمة في كل صلواتها، تتمنى أن تلتقـي بـه فـي مكان لا تدرك تفاصيلـه... تلتقي به مرة أخرى وتقبل رأسه في الآخرة.

سـتمكث في بيته الذي كتب باسـمها بناء على طلب جورج الذي رجاهـا أن تقبـل هديته الأخيـرة لها، بيتاً يضمها لنهاية حياتها... يذكرها بأيامهـا معـه التـي يعتبرهـا جميلة، تنام على نفس السـرير الذي ضمهما كل تلـك الفتـرة وترتـل تراتيل الحب التي كانت تسـمعها منه قبل النوم وأثناءه وبعده وفي كل وقت يرى فيه وجهها البريء الذي جعله يتمنّى أن ينظر فيه إلى قيام الساعة ولا يرى أي وجه غيره.

عندما يموت شخص نحبه ونعرفه معرفة جيدة نشعر بأن الدنيا قد ضاقت بنا وجعلتنا نتألم على رحيله وعدم وجوده في هذا العالم، لكننا ما نلبث أن ننسى أو نتناسى رحيله ونتذكر فقط تلك اللحظات الجميلة التي قضيناها معه وعشناها.

ذكرياتها معه هي فقط ما يتردد في مخيلتها الآن، الأيام التي قضتها معه وعاشت فيها الحب والسعادة والأمل في مستقبل جميل، لا تتذكر

أبـداً لحظـات الحـزن لأنهـا لم تشـعر بالحزن في وجوده، فقط عاشـت سـعادة وتعظيماً لها لأنها في نظره مقدسـة طاهرة، تراجع ألبوم الصور الـذي يجمعهـا معـه، صورهمـا التي تعبر عن مدى السـعادة التي طغت على علاقتهما في كل لحظاتها.

تمشـي فـي أركان البيـت وغرفـه كـي تتذكر لحظـات جمعتها مع جـورج فـي كل شـبر منـه، تتذكـر لحظات لن تنسـى مـن حياتها إلا لو كانـت ناكـرة للمعروف... ناكـرة للحب الذي تدفق لها من نهر جورج، هـي الآن وحيـدة وعليهـا أن تفكـر في حياتها بعـده رغم صعوبة العيش دونه لأنه بالنسبة لها يعني الكثير ولا يمكن أن يمحى من ذاكرتها بهذه السهولة.

هل ستحاول أن تنساه أو على الأقل تتناساه؟؟

وتحاول بدء حياة جديدة مع إنسان آخر تحبه قبل أن يحبها وتبادله نفس المشاعر والأحاسيس، وتبدأ زواجاً آخر بعد موت زوجها الأول، أم تكتفي برجل واحد في حياتها وتعيش ما تبقى من حياتها أرملة دون أن يرتبط اسمها بأي كائن آخر سوى جورج.

كوب قهوة

في حضرة الملاك

16

بعد مرور أربعة أشـهر وعشـرة أيام على وفاة جورج، قرر الوزير أن يفصح عن نواياه التي لزمت فؤاده لفترة طويلة قد لا يحتملها بشر، لا يحتملهـا قلـب محب لأنثى ولإنسـانة كجمانـة، قرر أن يفضفض لها عما يدور في خلده وما يريده منها، عن الأشياء التي يرغب في صنعها معها وتحقيقها في حضرة روحها حتى لو رفضت أي علاقة معه فروحها ستكون معه حتى وفاته.

قـرر أن يدخـل البيـت من بابه الوحيد، طرق بـاب بيتها وتفاجأت بوجوده وحضوره لبيتها، طلب أن يتناول القهوة معها، ترددت في قبول عرضه لكنها قبلت بذلك لأنها تجد فيه شخصاً يستحق ثقتها به ولأنها كانت تريد أن تخرج من عزلتها.

هل الدكتور حمود استغلالي لهذه الدرجة؟؟

يستغل حزنها على رحيل زوجها جورج ليكون معها علاقة حب، يستغل وفاته لينصب نفسه مكانه، أم أن هذا من حقه الطبيعي كشخص محب لإنسانة يزعم أنها قدرت من الرب لتكون شريكة لحياته.

احتسى قهوته وشربت قهوتها، وتحدثا معاً قليلاً عن الحياة والأمل والتفاؤل والسعادة، عن تلك الكلمات التي تجعلنا نرغب بالعيش ونريد من خلالها إكمال ما تبقى من حياتنا.

لم يتجرأ أن يتكلم عن علاقة بينه وبينها، لأن هذا اللقاء هو اللقاء الأول بينهما بشكل مباشر وبدون ارتباطها سوى بجورج الراحل، سيكون من الجنون أن يرمي بكل أوراقه في أول لقاء يحتسيان فيه القهوة في مقهى (أموري) في منطقة الفردان.

تكلما معاً عن المستقبل، لأن مستقبله الآن رهن إشارتها ويخضع لإرادتها فقط لأنه من وضع نفسه في موقف المتشبث بأمل يجعل حياته معها حياة يجب أن تعاش لينعم بحياة.

طلب منها وعداً بألاّ يكون هذا اللقاء لقاءً أخيراً بينه وبينها بل بداية للقاءات متكررة تجعله يرى وجهها البريء وطلتها التي لا يريد مفارقتها ونظرات عيونها الحالمة.

قرر أن يكون اللقاء الثاني مع جمانة أكثر جرأة ودخولاً في المواجهة معها ومع الحب، مع تلك الدوامة اللذيذة التي أدخل فيها بفعل حلم قدري لم يحاول أبداً أن يأخذه سوى على محمل الجد وعلى محمل الإيمان بقدره الذي قدر من رب العباد.

أنا من النوع الذي إذا أحب تملكته قوة ملائكية أو شيطانية (لست متأكداً من كينونتها) تجبره على الحب بجنون، وتجبره على التمسك بالأمل حتى آخر رمق منه وتجعله يحب بشيء من العميانية المفرطة.

كتب في دفتره الصغير من نوعية (روكو)...

التقيت بها في مقهى (أموري) في منطقة الفردان في مدينة بيروت العظيمة، تناولت القهوة معها ووضعت لها قوالب السكر في كوبها وقلبت لها السكر، تناولت قهوة أمريكية وكذلك أنا تناولت الأمريكية إرضاء لها وحباً في القهوة، تناولت القهوة في حضرة ملاك، لامست يدها الرقيقة وودعتها على أمل أن ألقاها في أقرب فرصة.

عندما تواجه أنثى بحبك لها وتعلقك بها، فأنت بذلك تكشف كل أوراقك أمامها وتصبح عارياً من داخلك، لكنه سلاح ذو حدين قد يجدي نفعاً وقد ينقلب عليك فتصبح كمن يقول (يا ليت اللي جرى ما كان).

17

لا زال يسكن في فندقه المفضل كراون بلازا في الحمرا التي يعشقها رغم قدرته على السكن في فنادق تصنف بمستوى السبعة نجوم، لكنه يفضل هذا الفندق وكون فيه علاقة مع بعض العاملين فيه في الاستقبال وحتى عاملات التنظيف وعمال المطعم، يبادلونه الترحيب والسؤال عن حاله وهو كذلك يبادلهم هذه المشاعر ويسأل عن احتياجاتهم المادية والمعنوية.

حمود كشخص متعلق بحلم كبير جداً لا يريد أن ينهي حياته دون أن يحققه، دون أن يعيش تفاصيله الكبيرة والدقيقة، دون أن يكمل قصة حبه مع أنثى يشعر بقربها شعور الحياة والأمل والسعادة.

له علاقة خاصة مع عطره وتحديداً بعد رؤيته لجمانة، كون تلك العلاقة مع عطر كول ووتر الكلاسيكي من دافيدوف رغم أن الشركة طرحت عطر هوت ووتر لكنه فضل الاستمرار على الكول (البارد)، البعض يعشق تثبيت رائحة عطره والاستمرار عليها لسنوات والبعض الآخر يفضل تغيير عطره أكثر من مرة في اليوم الواحد وكل شخص لديه ذوقه في علاقته مع العطور وقد تكون علاقة من نوع خاص لأنها علاقة مع رائحة جميلة ومحببة.

انتظاره وترقبه للقائه معها قد يوازي لقاءات مع أشخاص لا يمكن لنا لقاءهم إلا في آخرة نحاسب فيها على أعمالنا التي قمنا بها في هذه الدنيا... مشاعر مختلطة لا يمكن تحديدها بوصف واحد لأنها مشاعر فوق الوصف هي أقرب إلى التحليق فوق السماء والأرض معاً.

سيحكي لها الحكاية من بدايتها، منذ تلك الليلة التي دعا فيها

ربه أثناء تهجده ليبعث له حباً ملائكياً يستحقه، واستجابت دعوته بحلم فسره كما أراد وجاء على هواه، جاءته في الحلم لتقول له: أنا الملاك الذي اختارها الله لك، من لبنان بلد الجمال والحب، تدعى جمانة ضاهر، كان عليه أن يتتبعها لكي ينال ما يريده، لذلك هو يحبها حتى قبل أن يراها ويعرف قصة مرض زوجها ووفاته بعد ذلك.

قبلت لقاءه مرة أخرى، وهذا كرم منها أن تتكرم ليرى وجهها الجميل، ازدادت جمالاً على جمال في هذه المرة، وجهها أصبح أكثر نضارة وملامح وجهها التي توحي بابتسامة مخبأة في داخله تجعله يرغب ويتمنى أن يقبل الوجه والرأس وكل شيء فيها دون أي استثناء لأن هذا الجمال يستحق أن يقبل ويحتضن بقوة.

هذه المرة التقيا في مقهى (ستاربكس) الحمرا...

بدأ يتلو حكايته من البداية معها ومع الحب... ملامح وجهها بدأت تختلف وتغير لون وجهها، لا تعرف حقيقة واحدة عن الأشياء التي يتحدث بها حمود، قصة تسمعها لأول مرة ويصعب عليها تصديقها ليست وحدها في ذلك فحمود نفسه يشعر بغرابة ما يحدث له.

لم تتكلم بعد عرضه لقصته، قرر أن يتكلم بصراحة ووضوح معها، قال لها... منذ ذلك اليوم الذي رأيتك فيه حلماً قررت أن أحبك وأتعلق بك، قررت أن أستقيل من حقيبة وزارة الصحة لأحزم حقائبي إلى بيروت، لأحول الحلم حقيقة، بعد كل هذا... أنا أحبك يا جمانة وأعرض عليك بأن تكوني شريكة لي فيما تبقى من حياتي التي لم يبقَ منها أكثر من الذي مضى.

سيكون غبياً لو توقع أن ترد عليه الآن، أن تقول له إنها تبادله نفس المشاعر والأحاسيس، نفس الحب والعشق، سيكون مجنوناً لو توقع أن توافق على الزواج منه فقط لكونه وزيراً سابقاً للصحة في بلاده واستقال

من أجل خاطر عيونها.

طلبت منه مهلة... مهلة لمدة سنة كاملة تفكر فيها ويكون بعيداً عنها طوال تلك الفترة لتحاول اتخاذ القرار الأنسب لها وله، ولجورج الراحل أيضاً، هل سيكون زواجها بحمود مريحاً له في قبره أم منغصاً عليه حياته البرزخية ومقلقة له؟ ستحتاج إلى التفكير بهدوء شديد دون أي ضغوطات منه ولا من أي أحد آخر لأن هذه حياتها التي تريد أن تكون سعيدة فيما تبقى منها.

سينتظر ردها لسنة كاملة، يعني لمدة 12 شهراً، لمدة 360 يوماً، وفي النهاية قد ترفض وتقطع كل خيط يربطه بها، ويصبح الوزير الذي لم يستطع الزواج من حبيبته، أو توافق فيصبح أسعد إنسان في هذا الكون لأن زواجه منها هو آخر حلم تبقى في حياته... هو الحلم الكبير كما أسماه في مذكراته.

دعته إلى شقتها ليتناول القهوة معها، ويشاهد أركان بيتها الذي جمعها مع جورج في كل لياليهما معاً خلال فترة زواجهما التي انتهت برحيله... الموت وحده هو من جعل علاقتهما تنتهي وليس غير الموت هو من يفرق الأحباب.

فاجأته عند حضوره لشقتها بعرضها ألبوم صور يجمعها مع جورج، ألبوم صور يحتوي على صور كثيرة تقارب مائتي صورة، صور يوم الفرح وصور في أماكن سياحية، يتعانقان في صورة وتقبل يده في صورة أخرى وصور أخرى كثيرة مليئة بالحب، لم يمانع حمود من تصفحها مع جمانة ولم ينزعج كثيراً من ذلك لأنه كان يتأملها أكثر من الصور الموجودة في الألبوم لأن تأملها بالنسبة له تأمل وتفكر مقدس.

انتظر فترة طويلة ليلتقي بها ويتحدث معها، وسينتظر فترة ترد بعدها على طلبه الزواج منها، الزواج من أرملة، لكن هذه الأرملة هي

حبـه الباقـي... هـي كل حياتـه، هي الأمل والمراد فـي هذه الحياة، قرر أن يعود إلى جدة خلال فترة تفكير جمانة بطلبه ليكون بعيداً عنها كما أرادت ويتفرغ لنشر مذكراته... مذكرات وزير سابق.

أنتظرك

بأقصى ما يستطيعه يأس
بأقلِّ قَدْرٍ من ظلّي
أثق بالمطر
كزهرة غارديني
تضيئني بئر
حياتي حبر على سحابة
خطوتي خلفي
أنا أخطائي
الليل قطعة من القلق صافية
ولكلّ طائر شكل صليب.

(الشاعرة اللبنانية سوزان عليوان
من ديوانها رشق الغزال)

18

عـاد لوطنـه مواطنـاً عاديـاً كغيره مـن المواطنين، سـوى أنه الوزير السـابق والعيـون قـد تكـون مراقبة له في أي تشـكيل وزاري جديد لأنه من بين الخيارات التي قد تكون متكررة في كثير من الأحيان... الأسماء المتكـررة تجلـب الملل للبشـر حتـى لو كانوا وزراء جيدين، فالأسـماء الجديدة هي التي نعول عليها دوماً للتغيير.

اعتاد على حياة الوحدة، لم يعد قلقاً منها، لو كان غيره في نفس موقفـه مـن الممكـن أن يصـاب بنوبات اكتئاب حـادة، لكنه يعيش حالة حـب ومتعلـق قلبـه بجمانـة ووحدهـا هي في يدهـا مقاليد أمـور حياته الباقية، ستقرر حياته معها أو حياته مع الشيطان.

قرر أن ينشر مذكراته، لا يريد أن يحدث ضجة، فقط يريد تجميع مـا كتبـه خـلال سـنوات دراسـته وعمله وبعـد ذلك وزارتـه وبعض من قصص حياتية عاشـها، لا ينبغي أن يحتفظ بها لنفسـه فقط، بل للجميع كامل الحق في الإطلاع عليها حتى لو كانت مؤلمة ومحرجة في بعض الأحيان.

اسـتغرق تجميعه وكتابته لمخطوطة مذكراته قرابة الشـهرين، كان فيهمـا معتكفـاً علـى كتابتها مؤمناً بأنها سـتكون جديـرة بالقراءة ومفيدة لمن يريد الاسـتفادة من تجربة وزير سـابق أقال نفسـه من وزارة الصحة قبل أن يقال لأن أي وزير سيقال مهما تمسك وعمر في كرسي الوزارة الساخن... أن تستقيل خير من أن تقال.

انتهـى مـن المخطوطـة، بحـث كثيراً عن ناشـر يسـتحق نشـر هذه المذكرات عربياً ومن ثم عالمياً، للأسـف بحث في السـعودية ولم يجد

ذلك الناشر المحترف الخبير الذي يستحق نشر مذكرات وزير سابق في الحكومة السعودية، وقد يؤثر في الرقابة بشدة على ما يكتبه في هذه المذكرات.

لم يجد بداً من ناشر لبناني، لأنهم الأكثر خبرة وانتشاراً من فترة تاريخية طويلة، ولا يتدخلون دوماً في عمل المؤلف، هذه المرة سيسافر إلى لبنان في مهمة عمل وليس لمراقبة حبه... جمانة ضاهر، مهمة نشر مذكراته في إحدى دور النشر اللبنانية والتعاقد معها.

أتمّ تعاقده مع الدار وسلم لها كتابه الذي عنونه بـ(مذكرات وزير مستقيل)، مذكرات تجاوزت المائتي صفحة من القطع المتوسط، دوَّن فيها كل ما اعتقد أنه مفيد للقارئ ومفيد لمن يريد أن يصبح وزيراً في المستقبل، لم يكتب فقط عن أيامه في الوزارة بل عن كل أيام حياته الماضية وأبرز حكاياتها، نص العقد على أن يتقاسم هو والدار أرباح هذا الكتاب وبطبعة أولى من خمسة آلاف نسخة توزع في مكتبات العالم العربي الكبرى.

أول عقبة واجهته هي فسح كتابه من وزارة الثقافة والإعلام السعودية، سلّم لهم الكتاب مطبوعاً ليتم فسحه، توقع أن يتم الفسح خلال دقائق، لكن المسؤول اعترض على العنوان والكتاب من الداخل مليء بآثار اعتراض على جمل وكلمات يستخدمها الكاتب في حديثه، لا يدري ما هو النظام هذا الذي يمنع الإنسان من الكتابة بحرية وإبداع؟؟

موظف الفسح الذي قابل حمود في وزارة الثقافة والإعلام موظف متسلط... لا أدري هل كلهم متسلطون، يمارس عمله في شطب الجمل ليقيد حرية المبدع ويشل حركة يده التي تنساب برشاقة، هو أشبه بمخبر أو محقق من الدرجة التي لا تتمتع بأي ثقافة أو فكر، قال له:

فكرة الكتاب لم تعجبني، لِمَ لا تؤلف كتاباً أفضل من هذا وليكن

بطابع إسلامي!! لم يرد رأيه في الكتاب ومن هو؟ ليعجبه الكتاب أم لا، وهل هناك كتابات إسلامية وأخرى غير إسلامية؟؟

هو حر وخلق حراً...

كيف يسمح لأحد أياً كان بالتدخل فيما يكتب ويبدع؟ ليس لهم الحق في ذلك... فليذهبوا إلى الجحيم، سينشر عربياً وعالمياً ومن خلال الإنترنت، المهم أن يكتب ما هو مقتنع به تماماً وليس حسب قناعاتهم هم، ومن أراد قراءة الكتاب سيجده حتماً ويبحث عنه.

فصل واحد مما كتب في مذكراته التي أسماها...

(مذكرات وزير مستقيل)...

لنقرأ معاً ما كتب الوزير عن حياته الغريبة في نظره على الأقل.

لست سوى بشر...

في ثوب وزير!!

19

أكره التحدث عن نفسي وعن حياتي كثيراً، لكني هنا مضطر لأكتب وأسرد لكم حقيقة حياة عشتها، رغم أنها لم تنته بعد لكن لا بد لها من نهاية تخنقها، لست سوى إنسان عادي أو أقل من العادي بكثير، حظيت بفرصة لأن أكون وزيراً للصحة في السعودية، وأحببت أن أدوِّن وأكتب ما حصل لي في تلك الحياة حتى لحظات كتابتي لمذكراتي المتواضعة هذه، التي كتبتها وأنا متردد في نشرها أم لا... فقررت نشرها ليقرأها الجميع ويطلعوا عليها وقد يستفيدوا منها.

حمود عبد الله زراع...

حمود... كثير الحمد والشكر وأرجو أن أكون كذلك لله سبحانه وتعالى، ولدت لأكون إنساناً يحاول التغيير في مجتمعه من خلال الطب، حيث امتنهت هذه المهنة المقدسة ودخلت المجال الصحي الواسع بإرادتي الكاملة دون أدنى ضغوط من أي أحد، وحيد والدي المدلل... لكنهم رحلوا مبكراً عن حياتي في حادث سير... رحم الله جميع الموتى في هذا الكون.

أشعر أني مختلف عن الناس، لم أعش طفولة ولا مراهقة... أشعر أني خلقت لأكون رجلاً شاباً من البداية، أتأمل الناس حولي وهم يمارسون تفاصيل حياتهم اليومية، وأقرأ وأكتب لأكون مثقفاً وأبتعد عن الجهل والجهلة، ولدت لأتحمل مسؤولية على عاتقي قد تكون كبيرة جداً.

لست أدري هل خططت لأكون وزيراً للصحة أم أن الأمور قد أتت قدرية كما تأتي دوماً، لكني كنت أريد أن أصنع لنفسي علامة

خاصة بشخصي بحمود زراع... الإنسان، يعني أن أثبت وجودي في هذا الكون بكل ما هو إيجابي وإضافة لوطني وأمتي وما يجعلني أكون فخراً لكثيرين وقدوة يحتذى بها.

عندما يتحدث إنسان عن نفسه فغالباً ما يتحدث بنرجسية ونوع من العزة الداخلية بذاته... هذه طبيعة البشر تحب تضخيم الأمور وتهويل الأحداث لمحاولة صنع وخلق الحدث وأحياناً من اللاحدث.

سأتحدث في هذا الفصل تحديداً عن مرحلة قبل وأثناء استلامي لوزارة الصحة، تعرفون أنها مرحلة حساسة في حياتي ولها أبعادها المختلفة النفسية والعملية، وأعترف أنها كانت علامة بارزة لا تنسى في حياتي رغم أن جمانة (أقصد حبيبتي) كانت هي الأهم في كل حياتي.

في تلك الفترة كنت أريد مكافأة من نوع خاص على ما كنت أقدمه من عمل وجهد تجاه مجتمعي وتجاه الأطفال من خلال كوني استشارياً لطب الأطفال، كنت وقتها مديراً لمستشفى الملك فيصل التخصصي بجدة وهو منصب مميز ورفيع في واحدة من أفضل مستشفيات الوطن العربي، كنت أريد التطوير دائماً وأرغبه لأني شاب طموح ولديه فكر يريد تنفيذه من خلال الصحة والمجتمع والعلاقة بينهم التي لا تنفك أبداً، لكن منصباً مرموقاً جداً كوزير الصحة سيكون أكبر مكافأة لإنسان اجتهد كثيراً وتعلم وعمل ليحاول صنع اسم لنفسه من خلال الطب والصحة.

دوماً عندما تسمع خبراً سعيداً جداً عليك أن تفرح مهما كانت هذه المهمة الموكلة إليك فهي ثقة وضعت فيك لتنجز وتقود وزارة الصحة، طبعاً لم أصدق الخبر رغم أني أعلمت به قبل وروده في نشرة الأخبار الرسمية، بعد هذا الخبر ذهبت إلى غرفة نومي ونمت نومة جميلة مليئة بالأحلام السعيدة وكأني مقبل على عمل ودنيا أخرى مختلفة كثيراً عن السابق.

قسم أديته وأنا مطمئن وواثق من قدرتي على صنع وتحقيق شيء ما من خلال كوني وزيراً، لا أقول إني سأكون ذلك الوزير الذي ليس قبله ولا بعده، لكني حاولت أن أكون مخططاً ومنفذاً ودقيقاً وباثاً لروح جديدة في هذه الوزارة الهامة.

لن أكتب عن خططي وتفاصيلها فهي لن تهمكم كثيراً وهي طبقت على أرض الواقع في الفترة القصيرة التي توليت فيها الوزارة، لكني سأتحدث عن الإطار الداخلي النفسي والعملي في الوزارة وأيضاً في مجلس الوزراء وما الذي أحسه وأشعر به في كل محيط منها.

طبعاً في الأيام الأولى بعد تسلمي الوزارة، كانت المجاملات والشرهات تأتيني من كل حدب وصوب، وكأني سأملك الأرض من خلال وزارة، جعلوني أشعر بأني أصبحت في موقع مختلف تماماً عن موقعي السابق، كأني أستطيع مساعدتهم وإعانتهم رغم أنهم لا يحتاجون إعانة أو مساعدة بل يحتاجون أموراً تلقي بالعدالة في مكان بعيد جداً وتأتي بالفساد والظلم الذي لا يرضاه أحد.

طبعاً غيرت مكتبي... كيف أجلس على مكتب جلس قبلي فيه وزير؟... يمكن تنتقل أفكاره لي فتعديني، ليس ذلك غروراً بل للتغيير والتجديد ومحاولة جعل وجودي تغييراً حاصلاً ابتداء بالمكتب وانتهاء بالخطط والأفكار الجديدة والمستحدثة لمحاولة صنع وزارة بحلة حمود زراع... تكون فيها بصمته كبيرة جداً.

لن أقول إني وزير من عالم آخر...

لكني وزير له كاريزما مختلفة عن البقية، قد يكون لكوني جديداً على ساحة الوزراء التي لا رحمة فيها ولا شفقة، وعازباً رغم بلوغي الثامنة والأربعين من عمري في ذلك الوقت، لن أشغلكم كثيراً بحبي في هذا الفصل... سأترك الحديث عن الحلم وعن الحب في فصول أخرى.

جـو المكتـب والدوام الرسـمي والاسـتقبالات والزيـارات صعب جـداً، يشـعرك بأنـك مخنوق كثيـراً، وأنت في رأس المدفع كما يقال لا تملك سـوى أن تعمل وتخطط وتصدر قرارات وإجراءات معينة تجعل مـن وزارتـك مكانـاً صحيـاً للعمل فيه وفي محيطـه... ونحن في وزارة الصحة.

عيّنـت صديقـي العزيـز مـروان مديراً لمكتبي ليـس لكونه صديقي فقـط بـل لكفاءتـه العاليـة جداً وقدرتـه على القيام بهـذه المهمة الصعبة بأن يعمل معي ويستحمل كبريائي كوزير.

أول مجلس وزراء أحضره في حياتي كان أشبه بالرعب، لا أفضل ولا أحب الفلاشات كثيراً رغم كوني وزيراً، ومجلس الوزراء أكبر فلاش تلفزيوني وصحفي، وكل أمر الوطن سيقرر من خلاله فهو بمثابة مجلس للوطـن وإدارة أمـوره، رغـم وجود مجلس الشـورى على الطرف الآخر البعيد جداً.

فصل يحتاج تكملة من وزير عاش تجربة وزارة بكل ما فيها ولا أجد في نفسي قدرة على ذلك، ومذكرات كاملة تحتاج إلى قراءة متأنية وأرجو أن تجدوها في المكتبات خلال الفترة القليلة القادمة.

طبعاً مذكرات وزير مستقيل...

حقق مبيعات عالية وجيدة رغم الانتقادات التي وجهت له من قبل كثيرين بأنه كان ينبغي ألاّ يكتب كل هذه الأمور وبنفس الأسلوب الذي ذكره في الكتاب رغم شفافية ووضوح ما كتبه.

مع وجود الإنترنت منع أي كتاب هو شـيء أشـبه بغباء مسـتحكم يسيطر على عقول كثيرين.

الإشارات القدرية المقدسة

20

هل نؤمن بإشارات القدر التي تأتينا؟؟

اللـه... يبعـث لنـا الإشـارات التـي تدلنا علـى الطريـق والاختيار الصحيـح، يبعـث لنـا بأحلام وصدف جميلة وابتسـامات ومواقف معينة تجعلنا نغير مسار حياتنا ونأخذها لمنحنى آخر مختلف تماماً.

أرسـلها القدر لي صدفة فأحببتها وتعلقت بروحها قبل أي شـيء آخـر، وتمسـكت بهـا رغـم أن التمسـك بالحب هو اختبـار صعب جداً يسقط فيه كثيرون.

لذلك أؤمن بإشارات القدر وأؤمن به كقدر...

حمـود شـاهد حلمـاً في منامه فأحـب دون أن يتحدث لأنه مؤمن بالقـدر وإشـاراته الغريبـة العجيبـة في أحيـان كثيرة والصعبـة في أحيان أخرى، حاول السعي لتحقيقه وهو في الطريق لذلك.

خصوصاً في الحب القدر يلعب دوراً كبيراً فيه وليس الحظ، لأن جنوننا في الحب وتعلقنا به هو الجنون الوحيد المنطقي في هذا الكون رغم كل ما فيه من عذاب مصحوب بفرح.

إشارات القدر...

يجب أن تحترم وتقدر ولا نتركها تفلت من بين أيدينا، قد تحتاج منـا قليـلاً مـن الذكاء والحكمة للتعامل معها وتحويلها إلى حقيقة واقعة نعيشها بعد أن نخطط لذلك وندبر بدقة.

إشارات القدر نحسها بقلوبنا قبل عقولنا... نسير وراءها لو استطعنا ترقبها ووضعها في أذهاننا كحقيقة ممكنة تأتينا من السماء، وتسهل علينا

أموراً كثيرة صعبة جداً.

الحب صياد...

لكنه أعمى.

أنيس منصور

العودة

إلى أحضان الملاك!!

21

بعد تجربة جميلة خاضها مع إبداع قدمه للجمهور وللقراء من خلال مذكرات وزير مستقيل، عاد إلى بيروت مترقباً لقرار منها قد يحدد مصيره في الحياة... إما أن يستمر حياً أو يموت أيضاً... حياً.

طلبت منه مهلة سنة كاملة... عدت عليه بطيئة جداً، وفي نفس الوقت كان مستمتعاً بالتجربة ومتفرغاً لها تماماً، ما أراده من هذه التجربة هي إفادة كل قارئ للكتاب ولو بموقف واحد على الأقل وكذلك استمتاع القارئ بالكتاب كونه ليس عميقاً جداً بل تجربة إنسانية بسيطة.

ينتظر من جمانة أن تقول له وبكل بساطة... سأعيش معك ما تبقى من عمري وسأكون ملكة تحت عرش مملكتك، ومحبة لك وعاشقة متيمة لمن اختارته أحلامه حباً لي.

أما لو كان ردها عكس ذلك تماماً...

أنا آسفة، سأبقى وفية لجورج الراحل وسأريحه في قبره وجنته، لا أستطيع أن أحبك بعد أن عشقت جورج ورحل لكني سأظل أعشقه حتى الوفاة، ستكون تلك نقطة نهاية لحياته.

إلى بيروت الجميلة عاد ليسمع أجمل خبر وقرار من الممكن أن يسمعه في حياته وهو أهم بالتأكيد من قرار تعيينه وزيراً، فالحب أهم من المال والسلطة بالتأكيد...

المال ليس سوى تراب أمام مشاعر إنسانية نبيلة ومحبة وصادقة.

صلّى العصر جماعة في جامع الأمين الذي يحبه لشعوره بنوع من السلام والطمأنينة داخله، قد يكون أكثر من أي جامع آخر دخله في

حياتـه، وهـو مرتـب ونظيف وفيه من الفخامة والروحانية الكثير... رغم أن الفخامة في الجامع ليسـت سـوى إضافة تدل على احترامنا لقدسـية المكان وروحانيته.

بعـد الصـلاة ذهـب إلـى بيتهـا الذي يعـرف طريقه جيـداً، محملاً بالأمل الكبير والحب، ومتأملاً لكل خير يجمعه بجمانة المقدسة.

رنّ جرس شقتها...

طفـل صغيـر مـن فتح الباب لا يعرفه ولم يشـاهده قط، سـأله عن جمانة، هل هي موجودة؟

أجابه الطفل: مين جمانة؟؟

- جمانة ضاهر أرملة جورج، هذا هو منزلها.

خرجت امرأة لا يعرفها كذلك ولم يشاهدها قبل مرة، كرر سؤاله عليها...

أجابت المرأة العجوز... نحن نسـكن هذا المنزل منذ 10 سـنين، أكيد أنت مخطئ في العنوان... مع السلامة وأقفلت الباب.

أنا لست مخطئاً هذا هو منزل حبيبتي... حلمي الكبير الذي أنتظره من زمان... جمانة التي دخلت قلبي من خلال حلم مقدس شاهدته في ليلة جميلة.

توتـرت حالتـه وتنرفز كثيراً لدرجة البكاء والحزن الشـديدين، قرّر أن يزور محلها ليجدها ويسمع قرارها، إلا لو كان كل ذلك هو أحلامه وأمانيه، زار المحل وسأل عن جمانة...

لا أحـد يعـرف جمانـة ضاهـر... هي في أحلامه فقط وفي مخيلته الجامحة...

ليس لدى الوزير من يحبه؟!

نهاية

22

تعيين الدكتور حمود زراع وزيراً جديداً للعمل.

الوزير الجديد في قصره مقتولاً...

أو منتحراً...

لا زالت كل الحقائق غائبة.

بين زخات مطرها أعيش حياتي وأموت.

تمت،،،

18 **أكتوبر** 2011م

دبي

أسامة عبيد

قاص وروائي سعودي

مواليد عام 1989م

صدر له:

- إرهاب الحب (قصص قصيرة وقصيرة جداً)
- رائحة فرنسية (رواية قصيرة)
- الرسام (مجموعة قصصية)
- سنة حب فينوس